

مشروع القرن الثقافي

روايات مصرية للجيب

في كل رواية متعة دائمة



ما وراء الطبيعة

أسطورة الطفيل 75

Looloo

www.dvd4arab.com

د. أحمد محمد التوفيق



المقدمة

الفتاحة فى مكان ما هنا ..

من الممكن أن يقترح أحد الأذكىاء أن أستغنى عنها ، وهذا يدل على أنه رجل عبقرى .. رجل قادر على فتح علبة من السلامون بأسنانه . أنا لست من هذا الطراز لذا يجب أن أقوم بهذه المغامرة البهلوانية ، وأقف على كرسى المطبخ الذى وضع على كرسى آخر ، ثم أمد ذراعى لنهايتها بحثاً فى ذلك الرف أو ذاك ..

كنا نتحدث عن الرعب ..

الرعب قد يكون من أشياء لا تخطر ببال .. ماذا عن عجوز وحيد مريض تهشم عنق فخذه يرقد على أرض المطبخ ، فى بناية سكانها مصابون بالصمم - جربت هذا مراراً - بينما أم (شخص ما) التى تأتى للعناية بشئون البيت لن تظهر قبل يومين ..؟

بالتأكيد سيموت جوعاً .. سيموت عطشاً .. مية مرعبة ومن الصعب أن تتخيلها لمن رأى كل ما رأيت ..

إن لا داعى لهذه الحماسة .. لكنك تعرف قصص الرعب هذه .. (متلازمة الضحية الضحية الغبية Stupid victim syndrome) حيث

على كل حال يمكنكم طلب الإسعاف لو بدأت أعراض التسمم تظهر على .. لا مشكلة سوى أنني لن أجد الوقت الكافي لأنهي هذه القصة .. هل تسمحين وتتفضلين بأن تعدي لى كوبًا من الشاي ..؟ لا أمقت شيئاً مثل انتظار غليان الماء لمدة ثلاث سنوات وأنا فى أمس الحاجة لكوب الشاي .. شكرًا .. فتاة رقيقة وجميلة أيضًا لو فكرنا فى الأمر ..

سوف أحكى قصة اليوم بطريقة (المسرحية - الرواية) التى ابتكرها توفيق الحكيم فى رائعته (بنك القلق) ، وقد اختار لها اسم (مسرواية) . نحن إذن على موعد مع مسرواية .. هل تسمعون ..؟

جميل .. جميل .. لن أكرر ما قلت لذا أرجو أن تصفوا لى ..

تهويد

بدأ كل شىء فى تلك الليلة المظلمة المدلهمة فوق التبت ..

الرهبان البوذيون من أتباع الناقله الكبرى (ماهايانا) كانوا يمشون فوق الثلوج مردين تراتيلهم ، عندما صاح أحدهم وهو ينظر إلى السماء :

— « ما هذا ؟ »

كان ذلك النيزك يشق الفضاء متجهًا إلى موضعهم بالذات ..

أصابهم الهلع فنفرقوا ، بينما حدث الارتجاج بقوة واهتزت الأرض وتناثر الثلج ..

وعندما وقفوا كانوا يشعرون بأن شيئاً قد تغير فى أعماقهم .. كانوا يشعرون بالوهن والضعف وجوع شديد .. وهكذا عاد الرهبان إلى الدير القابع فى الثلوج ، وهناك كان زملاؤهم يتلون فقرات من البهاجا فادجيتا ..

كان هناك جو عام موجس يحيط بهم منذ دخلوا والثلج يكسو

ثيابهم ..

فى اللحظة التالية حدثت كارثة .. لقد راحوا يلمسون رهاب وجدوه وكل شيء حى .. وكان من يلمسونه يسقط أرضاً وقد خارت قواه أو ميتاً ..

لقد كان ذلك الشيء يمتص سر الحياة من الموجودين بالداخل ..
يمتص طاقتهم ..

يمتص حيويتهم ..

وفى كل لحظة كان يكبر فى الحجم ويتمدد ..

لقد سيطر على الدير بالكامل لكنه بحاجة إلى مليون روح ومليون عقل ومليون طاقة حيوية يمتصها .. كلما كبر لن يقدر شيء على قهره ..

هكذا خرج يمشى فى الثلوج .. لا نجاة لثور أو ذئب أو أرنب ثلوج .. كل شيء يندمج فى ذاته العملاقة المخيفة ..

هناك فى الفضاء كانت هذه طريقته فى الحياة وقد جاء ينقل لنا هذه الطريقة ..

هل يمكننا القضاء عليه قبل فوات الأوان ؟.. هل من مفر من هذا المصير الأسود ؟

هذا ما سنعرفه فى الصفحات التالية ...

هاها !!

رائع !!

لو أنكم رأيتم وجوهكم وأنتم تسمعون هذا الجزء !!

ال نظر فى عيونكم تقول بوضوح : هل هذا كل شيء ؟..
سمعنا هذه القصة ألف مرة من قبل ..

كنت أداعبكم لا أكثر ..

بالطبع ما كنت لأحكى لك قصة بهذا السخف ، يمكنك أن تكمل أحداثها كلها قبل أن تقرأ نصف صفحة .. لا بد أنى قرأت نفس القصة فى مجلة سوبرمان 4567 مرة .. دعك من المشهد النهائى الضخم حيث تحاصر مدرعات وطائرات الجيش الأمريكى - المصرى فى حالتنا هذه - الشيء التائر الذى لا يكف عن التمدد .. والمقدم (نادر حازم) ذو الاسم الملقب يطلق الرصاص بلا توقف . جديم كامل من الطلقات والنيران ، ثم ينفجر الشيء وينتهى .. ربما يزرع نفسه فى بعض العقول وبهذا تضمن أن يكون للقصة أجزاء أخرى

الجزء الأول

شيء قادم

« ابحت فى بلدك التانى .. الإيجابية فى بلدك التانى .. ليس البلد الذى أخرجتك فيه أمك للحياة باكيًا عارياً . ابحت بين قومك الآخرين .. ليسوا هؤلاء الذين نشأت معهم ولهوت معهم فى التلوج . ابحت فى وجوه أخرى ليست كالوجوه التى ألفتها . ابحت فى قلوب أخرى تجهل عنها كل شيء .. »

برغم كل شيء أرى فى عيون صغار السن حماسة .. يبدو أن هذا الكلام الفارغ بدأ يروق لهم ، وهم فعلاً يرغبون فى معرفة ما سيحدث ..

للأسف يا أحيابى ليست هذه قصتنا اليوم .. فقط هى دعابة ثقيلة من دعاباتي لا أكثر ..

تعالوا الآن ننسى هذا الكلام الفارغ ولنبدأ القصة الحقيقية التى أدعو الله ألا تجدوها أسخف من هذه بعد انتهائها !!

- 1 -

حياة معقدة تلك التى اختارها (هن - تشو - كان) لنفسه
هناك حيث عاش قرب سقف العالم ..

نعم .. التبت فى الهيمالايا هو سقف العالم فعلاً ..

إنه يعمل مع الصينيين كمترجم ومفاوض ، وفى هذه اللحظات
يتحول إلى شيوعى من الدرجة الأولى ويتكلم بلغة (الحزب)
(والبروليتاريا) و(الكومنترن) ويحمل كتيب تعليمات (ماو
تسى تونج) الأحمر الصغير فى جيبه .. ثم ينفرد بنفسه فيتحول
إلى مواطن من التبت يحاول مساعدة أهله قدر الإمكان ..

كما قلنا هو ليس بوذياً بل يعتنق عقيدة منقرضة هى النافاراي ..
العقيدة التى كونت كل ثقافته وكل خلية من جسده ، لكنه يعرف
أن قومه انقرضوا فلم يبق سوى أن يتشبث بأثر واه خافت هو
البوذية ، برغم أنه لا يؤمن بها ...

التبت .. بلد الأسرار .. أرض الغموض والطلاسم ...

كان يبتعد عن لهاसा قدر الإمكان لأنها العاصمة ، وقد تعلم أن
العواصم خطيرة دائماً .. يفضل المدن الصغرى مثل (ساكيا)
(وناجتشو) ...

كان يدرك تماماً أنه آمن .. لا أحد يذكر النافاراي ، ولو قيل
إنه من النافاراي فلن يصدق أحد حرفاً .. فقط عليه أن يحيى
هذه العقيدة .. يجب أن يرثها أحد بعده . لا يجب أن تموت معه .
من الأديرة القليلة جداً التى لم يهدمها الصينيون كان دير
(نيينجا) .. قرب ناجتشو ..

عيناه مرهقتان من قلة النوم ، شاحب الوجه ، متوتر قليلاً
وهو الهادئ بطبعه مهما حدث ..

هذه الملامح أعرفها ... معالم رجل حائر لا يعرف إلى أين
المسار .. هل الباب الأيمن أم الأيسر ؟

يدخل (هن - تشو - كان) الدير .. يلقى نظرة على الأبراج
الحجرية المميزة والأجراس المعلقة التى لا تكف عن الرنين ،
لأن المؤمنين يهزونها طيلة اليوم ، ثم ينظر إلى الفلاحين
الواقفين بانتظار خروج الرهبان .. معظمهم مرضى يطلبون
الشفاء .. المجذومون بأنوفهم المجذوعة وأصابعهم المبتورة
جاءوا .. النساء اللاتى لم ينجبن .. الرجال الذين أصابهم الفالج ..

كلهم يطلب فرصة للقاء الكاهن ، ومن الواضح من شكل
المجذومين أنهم فشلوا في هذا المطلب على مدى عقود !

معنى مذهب (نيينجما) أصلاً هو (القدماء) .. وهو المذهب
الأصلي الذي أسسه (بادما سامبافا) .. بشكل ما يعتبر هو
العقيدة الأرثوذكسية (الصحيحة) بالنسبة لبوذي التبت ..

لكم من قرون مرت !... في زمن آخر كان هؤلاء خصومك ..
اليوم هم التراث الوحيد الباقي من ذكرياتك وأنت تجاهد
للاحتفاظ به ..

تعبير ممر الشموع نحو القاعة الحجرية التي يجلس فيها
الكاهن الأكبر أمام مجلداته العملاقة . يتربع على الأرض ..
مسناً مثلها .. كأنه شجرة سرو عجوز غرست الجذور فيها ..
يرشف الشاي بالزبد ..

تحنى أمامه وتقترب على ركبتك .. أنت من القلائل الذين
يمكنهم الدنو لهذه الدرجة من الكاهن الأكبر ..

يقول لك بصوته الواهن :

« أنت كالرياح الغربية .. لا تأتي إلا فيما ندر أيتها (الزهرة
الزرقاء) .. وكالرياح الغربية أنت تجلب الكثير من الروى .. »

تقول له :

« سامحنى أيها الأب .. إنما هم الصينيون .. لست حرأ في
التنقل كما كنت .. »

« كنا يعرف هذا لكن علينا أن نلزم الصمت .. ليس كل ما
يُعرف يُقال .. الغابة العجوز تكتم أسرارها كي تورق أشجارها
وتتشابك أغصانها .. »

ثم يرشف جرعة أخرى من الشاي .. وينظر لكتابه من وراء
حاجبيه الكثرين الشبيهين بغابة تتدلى غصونها على ضفة نهر ،
ويقول :

« بحثت طويلاً في المسألة التي سألتني جواباً عنها ..
ترهف السمع في قلق منتظراً إجابة .. لو كانت هناك إجابة
فهو يعرفها .. لا شك في حكمة هذا الرجل .. »

يقول :

« ابحث في بلدك الثاني .. الإجابة في بلدك الثاني .. ليس
البلد الذي أخرجتك فيه أمك للحياة باكياً عارياً . ابحث بين قومك
الأخرين .. ليسوا هؤلاء الذين نشأت معهم ولهوت معهم في
الثلوج . ابحث في وجوه أخرى ليست كالوجوه التي ألقها .
ابحث في قلوب أخرى تجهل عنها كل شيء .. »

تقول أنت في شيء من المراوغة :

« ليس لى بلد ثان .. أنا ابن التبت .. »

« إذن سل نفسك السؤال مرتين .. لو كان لى بلد ثان فأين

هو ..؟ لو كان لى قوم آخرون فمن هم ؟ »

ثم رفع نحوك إصبعًا طال ظفره فبدا كالمخلب المرتجف ،
وقال :

« إن فى قلبك بابًا مغلقًا لم يفتحه أحد.. وهذا الباب يوشك
على أن يذهب معك .. عليك أن تفتاد بشريًا تعلمه موضع الباب
وكيف يفتحه .. »

ثم أغمض عينه وبدأ يصدر ترنيمة طويلة من ترانيمهم

وعرف (هن - تشو - كان) أنه لن يحصل على معلومات
أخرى .. لقد انتهت المحادثة .

هكذا تراجع للخلف على ركبتيه دون أن يستدير توقيفًا للكاهن
العظيم ..

عندما بلغ الباب خرج ووقف على قدميه ، بينما التف حوله
الفلاحون الفقراء يضمون أيديهم كزهرة اللوتس توقيفًا له .

ومنهم من راح يمسد على كتفيه أو يمسح على شعره باعتباره
نال البركة .. لقد قابل الكاهن الأكبر .. هذا شرف عظيم ..

كان (هن - تشو - كان) شارداً الذهن ..

بلد ثان .. أناس آخرون .. الكاهن لا يعرف أى شيء عن
تفاصيل حياته الأخرى ، لكن (هن - تشو - كان) يعرف أن له
بالفعل بلدًا آخر هو مصر التى بلغها يوم فر من عالمه هاربًا من
خصومه . أصدقاء آخرون مثل (رفعت) الذى استضافه فى
بيته ..

هناك يكمن الجواب عن سؤاله المحير ..

إنه لا يعتنق البوذية ، لكنه يعرف أن هؤلاء القوم حكماء .
ربما هى حكمة فطرية فى البشر لا تنضوى تحت لواء عقيدة
معينة ، فقط هو تعلم أن يتعامل مع كلماتهم بجديّة ..

من الواضح أن عليه الذهاب لمصر ..

- 2 -

(فى شقة رفعت)

رفعت :

أنا فعلاً سعيد بلقائك برغم أنني من الطراز الذى لا يرحب أبداً برؤية صديق .. صدقتى .. حتى لو كنت أبدو مكتئباً ومتضيقاً فهذا لا يعنى شيئاً .. أنا من الطراز الذى لا تبدو السعادة على وجهه ..

هن - تشو - كان :

هذا يسرنى يا (ريفات) .. أنا مثقل بالمشاكل حقاً ويسرنى أن أرى وجه صديق .. لم أر مصر منذ فترة لا بأس بها ..

رفعت :

ورأيك ؟

هن - تشو - كان :

تزداد ازدحاماً والناس يزدادون عصبية . فى التبت يمكنك أن تمشى مسافات طويلة إلى أن تلقى إنساناً ودعنى أؤكد لك أن هذا يجعل النفوس رحبة هادئة ..

رفعت :

فى زيارتك القادمة أعذك أن نقلل مليونى مواطن كى تجد الأمور مناسبة لك .. هل جئت للعمل ؟

هن - تشو - كان :

للمعمل نعم . لكن ليس فى شئون البيزنس .. نوع آخر من العمل . كنت مع الملحق الثقافى الصينى صباح اليوم ، وقد طلبت منه قائمة من الأشياء ..

رفعت :

لا تبدو راغباً فى شرح المزيد .. لهذا لن أسأل ..

هن - تشو - كان :

لم أقل هذا .. على الأرجح سأشرح لك كل شىء .. أنت تعرف عنى قدر ما أعرفه عن نفسى .. بالواقع أنت أعلم الناس بأمرى على وجه الأرض فى اللحظة الحالية . وأنت الوحيد الذى يصدق ..

رفعت :

أؤكد لك أنتى لا أريد أن أثقل عليك .. هلم اتس الأمر بمرته .. أرجوك .. قدم لى هذه الخدمة ولا تحك لأن صبرى سيوتبنى فعلاً ..

هن - تشو - كان :

لكن

رفعت :

والآن هل ستقيم في داري ؟ .. أنا أرحب بهذا بشرط أن تتنازل عن التمارين الليلية التي تزرع جيرانى وتجعلهم يطلبون الشرطة .. لا شك أنك لم تتخل عنها لحظة .. أرى من تكوين جسدك المتحفظ كالنمر أنك لم تفقد شيئاً من لياقتك . أنت تتدرب بانتظام ..

هن - تشو - كان :

لياقتى الجسدية جزء من دينى يا (ريفات) .. جزء من فهمى للطبيعة والتحامى بها ..

رفعت :

نعم .. نعم .. لو كانت في عقيدتكم جنة ونار فأنا حطب جهنم إذن .. لا يمكن لهذا الجسد المرهق المستهلك أن يدخل جنتكم .. ولكن لم تقل لى هل ستقيم عندى أم لا ..

هن - تشو - كان :

أنا أقيم في فندقى يا (ريفات) .. تعرف أننى اعتدت هذا منذ عدت للنتب .. لن أثقل عليك .. وقت التدريب أذهب لمكان مقفر لا عيون فيه ، وأمارس التدريب وأقرأ الشوكارا ..

رفعت :

جميل .. جميل .. ثق أنى أشعر بحسرة لأثك لم تقم فى بيتى .. إننى حزين جداً وإن كان وجهى من الطراز الذى لا يعكس الحزن جيداً .. هل ترى أن نخرج لتناول العشاء فى مكان ما ؟

هن - تشو - كان :

أرحب بهذا يا (ريفات) .

(صخب المطعم)**رفعت :**

ألاحظ أنك لا تأكل تقريباً .. لم تمس الدجاج واكتفيت بشرب كوخيب من الماء ..

هن - تشو - كان :

السبب أن الظلام يفعم قلبى .. عندما يفعم الظلام قلبى يضغط على أحشائى فلا أقدر على ابتلاع لقمة ..

رفعت :

يا ساتر .. إلى هذا الحد ؟ .. هذا يؤهلك للتفوق فى مادة البلاغة الأدبية ، والرسوب فى مادة التشريح .. هل يمكن أن تعطى تلميحا عن السبب .. بلا تفاصيل ..

هن - تشو - كان :

السبب هو أن العمر يتقدم ، وأنا وحيد .. لم أنقل خبراتي لأحد ولم أعلم (نافاراي) جديداً .. أنا النافاراي الأخير ومن بعدى لا شيء .. كأنهم لم يوجدوا قط ...

رفعت :

إحم .. هل ما فهمته من كلامك هو حاجتك إلى الزواج أخيراً؟ .. هل جنت مصر تبحث عن عروس؟ .. وكم من الفتيات المصريات ستقبل أن تتزوج كاهن نافاراي متقاعدًا في رأيك؟

هن - تشو - كان :

لا .. لا تنتظروا لهن يا أتاندا .. لا تكلموهن يا أتاندا .. لم أفسد كلمات جواتاما .. النافاراي أو من نذر نفسه ليكون نافاراي لا يتزوج . أنا أبحث عن ابن روحي .. عن تلميذ...

رفعت :

جميل جداً .. يمكن أن تجد هذا الشخص في التبت .. إنه سيحمل ثقافتك وخلفيتك الاجتماعية ..

هن - تشو - كان :

ليس الأمر بهذه السهولة .. على كل حال ليست هذه هي المشكلة الكبرى .. المشكلة الكبرى هي أن الأخ (ميانج) يزورني كثيراً في المنام .. الأخ (ميانج) الذي علمني كل شيء في حياتي السابقة ..

رفعت :

حياتك السابقة كلام غير دقيق .. فأنت لست تناسخا وفي رأيي أنه لا وجود للتناسخ أصلاً .. لنقل : في الماضي ...

هن - تشو - كان :

حسن .. يزورني بإلحاح يطالبني بأن أبحث في كتاب شوكارا .. يلقتني أماكن حروف معينة .. إن الشوكارا مكتوبة بلغة تبتية قديمة جداً تختلف عن اللغة المركزية المستعملة في (لهاसा) ، وأنا أفهم الشفرة التي يحاول نقلها لي وإن كنت لم أدرك معناها .. لكنه في كل مرة ينهي رسالته طالباً مني أن أسأل الكاهن (شوتار - ما) .

رفعت :

ولماذا لا يقول ما يريد بوضوح؟

هن - تشو - كان :

كل الأطياف تتصرف بهذا الشكل .. أعتقد أن علي كلامهم رقابة شديدة تمنعهم من التصريح . هذا شيء

كعالم الأحلام حيث يعطيك الحلم رموزًا غامضة تشير للحقيقة بوضوح لو استطعت فهمها ..

رفعت :

وأنت سألت هذا الكاهن .. ما كان اسمه ؟

هن - تشو - كان :

(شوتار - ما) .. إنه كاهن دير (نيينجما) .. قرب ناجتشو .. قال لى إن الجواب عن سؤالي يكمن في حياتي الثانية وعالمي الثاني ... طبعًا هو لا يعرف حرفًا عن الموضوع .. لقد تأمل فحلم بالإجابة . لا أكثر ..

رفعت :

أى أنه لا يعرف الجواب .. فقط يعرف من يعرف الجواب .. هذا يعقد الأمور أكثر .. وما هو الضرر من تجاهل هذه الرسالة الغامضة ؟

هن - تشو - كان :

يقول الأخ (هبانج) إن الإجابة قد تعنى مستقبل عالمنا كله !

- 3 -

كنت جالسًا مع (هن - تشو - كان) في ذلك المطعم الفاخر الصغير في وسط القاهرة . إنه أقرب لمكان ضيق يعرف زبائنه جيدًا . خافت الإضاءة مع موسيقًا هادئة ، ومجموعة من الزبائن الغربيين غالبًا .. هناك جو حميم أحبه في هذا المكان ، لكنه باهظ الأسعار فعلاً فلا أقدر أن أجعل هذه عادة ..

ما زال (هن - تشو - كان) هو الكاهن الأخير .. لا يشيخ أبدًا وهو مشدود كوتر القوس منتصب القامة ، يوحى بشيء من التوتر والعصبية برغم أنني أعرف أنه آخر شخص يمكن أن تنطبق عليه صفة العصبية .. إنه هادئ كاللبن الرائب يتأمل كل شيء ويحاول أن يغوص في الكائنات والموجودات . عندما تحط ذبابة على ساعدك فهي ذبابة .. بالنسبة له هي أخته في الوجود ، وهو يحاول فهم كيف تتحد جزيناتها لصنع هذه المعجزة ...

كما قلت من قبل ، هو متأنق جدًا في ثيابه يذكرك أكثر شيء بـ رجل أعمال ناجح من (هونج كونج) ، فلا يمكن أن يتصور أحد منظره عندما رأيتَه أول مرة في قريش بالأحرى لن

يتصور أحد منظره في عالمه بالثياب القديمة والصفيرة على كتفه . إن له ذيل حصان قصيراً الآن لأن الموضة صارت تسمح بهذا نوعاً ، لكنه ما زال عصرياً جداً وبالطبع يضع النظارة السوداء على عينيه فيبدو بارداً مسيطراً ، بينما أنا أعرف أن عينيه قلقتان سريعتا الحركة كعيني الحرياء .. أعرف كذلك أنه يثبت كتاب الشوكارا المغلف بكيس من الشمع إلى جسده بشریط لاصق . لا يثق بخزائن الأرض كي يتركه فيها وهو كذلك لا يثق بمن ينسخه له ..

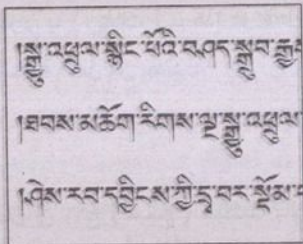
كنا جالسين .. هو لا يأكل ، ويتكلم حاكياً عن معضلته تلك التي لم أتبين أبعادها بعد . لا توجد معضلة على قدر علمي تجعلك تشد الرحال من التبت إلى هنا خصيصاً .

سألته وأنا أمسح فمي بالمنشفة :

« .. ليكن .. نحن في خطر داهم كالعادة . هل توصلت لشيء من هذه الحروف ؟ »

مد يده يبحث في جيب سترته ثم أخرج ورقة مطوية ، فتحها فوجدت عليها كتابة بلغة التبت جميلة جداً .. قطعة زخرفية رائعة تصلح لسجادة ممتازة . لكني أعرف هذه الكتابات

الآسيوية .. تذكر تلك الصحفية الأمريكية التي رأت حروفاً صينية جميلة في قائمة مطعم ، فسورتها وطبعتها على قميص لها ، ثم اكتشفت - عندما سافرت للصين - أن النص يقول : رخيصة لكنها شهية !!



ووجدت أنه أضاف علامات بالقلم الأحمر ليحدد حروفاً بعينها .. لم أقهم شيئاً فقال لي :

« .. هذه من قواعد الأجرومية في لغة التبت القديمة .. بعض الحروف كانت تنطق في آخر الكلمات ثم اختفت .. لنقل إن ... »
 - ثم رأى نظرة الغباء في عيني فقرر أن يختصر - « المهم .. دعك من هذا .. ما يحاول الأخ ميايغ نقله لي هو رسالة بسيطة تتلخص في الحروف اللاتينية ITFL أو الأوساط المماثلة لها في أية لغة .. »

حككت صلعتى مفكرًا وعبثت بالملعقة فى طبقى :

« هذا اختصار شهير فى اللغة الإنجليزية ... معناه
(على خط النار In The Firing Line) .. »

نظر لى واتسعت عيناه ونظر للورقة ثم هتف فى انتصار :

« أنت عبقرى يا (ريفات) .. هذا هو الحل فعلاً .. »

ثم بدت عليه خيبة الأمل من جديد :

« ولكن لا معنى لهذا .. »

قلت باسمًا :

« ومن قال إن الأخ (ميانج) سيكلمك بالإنجليزية ؟ .. لم

لا يكون لهذه الحروف معنى فى لغة التبت ؟ »

« لا معنى لها ... وأكد لك هذا .. الجواب يكمن فى لغة

أخرى .. »

أخرجت قلمى وورقة صغيرة وخططت الحروف عليها ورحت

أفكر ، ثم قلت له :

« الجواب عن سؤالك يكمن فى حياتك الثانية وعالمك

الثانى . نحن إذن نتحدث عن مصر .. ألم تفكر فى تحويل هذه

الحروف لما يقابلها بالعربية ؟ »

« نعم .. لم أفكر فى هذا .. »

كتبت بالقلم (! ت ف ل) ... إتفل ! .. أعتقد أن الأمر يتعلق
بالبصاق ، لكنى لا أتخيل ذلك الكاهن (الهايف) الذى يظهر
طيفه فى المنام بعد قرون ليطلب من أتباعه أن يبصقوا .. أعتقد
أن نظرية (على خط النار) أقرب للعقل ..

ولكن .. ماذا لو كانت الألف هى (ياء) ؟ .. لا يوجد تشكيل
فى الإنجليزية ، ويعتمد الأمر على شكل الحرف .. ماذا لو كانت
الكلمة هى (ي ت ف ل) ؟ .. هكذا صار البصق مضارعًا بدلاً
من فعل الأمر .. هذا يجعل الأمور أوضح ..

ثم خطر لى من جديد أن حرفى (الطاء) و (التاء) واحد فى
الإنجليزية ولعلهما كذلك فى لغة التبت .. تكون الكلمة إذن هى
(ي ط ف ل) ..

كنت أحب ألعاب الجناس التصحيفى أو الـ Anagram هذه
طيلة حياتى ..

هنا بدا الأمر واضحًا أكثر ..

طفيل .. الكلمة هى (طفيل) ...

صحيح أنه لا يوجد تشكيل للكلمة ، ومن الصعب أن أعتبرها كذلك وقد كتبت بهذه البساطة ، لكن لا يوجد حل آخر .. شفرة الأخ مياتج بحثت عن مخرج لها فاخترت العربية ، ومن الواضح أنها اختارتني كذلك ...

قلت لـ (هن - تشو - كان) وأنا أكتب الكلمة بحروف كبيرة :

« أعتقد أنه يتكلم عن طفيل .. يبدو هذا غريباً لكنه أعطاك المفتاح .. لا يمكن فهم رسالته الغامضة إلا في بلدك الثاني .. مصر .. أنت في مصر وأنا أقول لك إن هذا هو الاحتمال الوحيد .. لا يمكن أن تكون الكلمة (لطيف) أو (فتيل) أو (فليت) .. »

« ما معنى (طفيل) يا ريفات ؟ »

يتكلم بالأطفال فعلاً ، وهذا جزء من جاذبيته الخاصة .. يستطيع قتل ثلاثين رجلاً مسلحاً لكنه يظل طفلاً محتاجاً للحماية والتعليم . هكذا رحلت أشرح له :

« هو كائن يعيش ويتغذى على كائن آخر ، ولا يساعده على الحياة .. أو هو الشخص الذي يستغل كرم الآخرين ولا يقدم لهم شيئاً بالمقابل . في العربية الطفيلي هو الشخص

الذي يدعو نفسه لكل مأذبة ، ومن الغريب أن هذا أصل الكلمة الإغريقية أيضاً .. بارازيتوس parasitos هو ضيف العشاء المحترف الذي لا يقدم شيئاً سوى تسلية الأغنياء .. هل يدق هذا جرساً في ذاكرتك ؟

« لا ... »

ثم حك رأسه في قلق :

« الأخ مياتج يذرنى من طفيل .. بعد كل هذه الأعوام يأتي ليقول هذا .. لا بد أن الأمر شديد الخطر .. »

« وربما كنت أنت لا تتدثر بالغطاء جيداً في نومك .. هذا تفسير مريح للجميع .. »

كان حائراً فعلاً وشعرت بشفقة لا شك فيها تجاهه .. إنه ضائع في خواطره الخاصة .. لا بد أن إجلاله لهذا المياتج كان عظيماً ..

سألته وأنا أشير طالباً الحساب ، داعياً الله ألا تصيبني سكتة قلبية من الرقم :

« ماذا تنوى عمله ..؟ ما هي بداية الخيط ..؟ هل جئت مصر تبحث عن طفيل ..؟ يبدو أنه سيكون عليك زيارة أقرب

عيادة طبية للتحاليل .. سوف تجد الكثير من البلهارسيا
والأسكاريس .. »

لم يفهم الدعاية طبعاً وقال وهو يتأمل طبقه الذى لم يمس :

« سانتظر .. سوف أوصل بحثى .. لو كان هناك من يجيد
اللغة التبتية القديمة على ظهر الكوكب فهو أنا .. لكنى ما زلت
أحتاج للصينيين فى فهم التفاصيل . لهذا أتردد على الملحق
الثقافى .. أتوقع بعض المراسلات المهمة .. »

هنا شهقت وقد رأيت الحساب ..

بنى وبينك أعتقد أن الطفيليين عباقرة .. يجب أن تكون
مثلهم كى تعيش فى عالم متضخم باهظ الثمن كهذا ..

— 4 —

(مركز إيجانيس مركز تجارى كبير فى وسط البلد - بدأ
المكان يزدهم بالزبائن مع اقتراب الليل)

نادين :

السابعة والنصف .. كالعادة تتأخرين يا (مى) .. لو كانت
هناك حقيقة مؤكدة بصدك فهى أن مواعيدك فاسدة تماماً ..

مى :

نحن فى القاهرة يا حبيبتى .. لا يمكن أن تكونى فى أى مكان
فى الوقت الذى تريدين ، دعك من أننا مصريتان ولسنا ألمانيتين ..
أراهن أنك تأخرت ساعة على (هناء) لدى تسلم الوردية ..

نادين :

اسألها .. والآن يجب أن أنصرف ..

مى :

هل من مشاكل أو أشياء مختلفة كالعادة ؟

نادين :

لا .. يبدو أن المصابين بالكلبتوماتيا حياروا أقل من المعتاد ..

هي :

كلبتو ماذا...؟

نادين :

كلبتوماتيا .. جنون السرقة .. السيدة الثرية التي لا تقاوم أن تدس زجاجة شامبو أو قميصاً داخلياً في حقيبتها وهي في المتجر .. إنها غالباً سبب خراب بيوتنا نحن البائعات البائسات ..

هي :

مشكلتك أنك مثقفة أكثر مما تحتاج له مهنة كهذه .. إن خريجة كلية علوم مثلك لا يجب أن تكون هنا .

نادين :

ليست كل خريجات كلية العلوم مطلقات عليهن إعاشة أنفسهن وطفلهن وأهلهن المسنين.. والآن سلام ..

هي :

سلام ..

(درج منعزل معدنى يستخدمه العاملون كثيراً لتجنب

الزحام داخل الحل)

مروان :

نادين !

نادين :

مروان ..؟ ماذا جاء بك هنا ؟

مروان :

كنت أنتظر انتهاء نوبتيتك ، وأعرف أنك تستعملين هذا الدرج ..

نادين :

طريقة غريبة .. ليست بطريقة جنتمان ، لكن من قال إنك كذلك ؟ .. أعتقد أن قصتنا انتهت وقد مر على طلاقنا عام .. أرجو أن تتركنى .. الرجل لا يحاصر مطلقة في درج منعزل ليكلما عن العودة له ..

مروان :

قولى لى طريقة واحدة أتكلم بها ، وأنت ترفضين الرد على الهاتف ، وتوشكين على استدعاء الأمن لى لو كلمتك فى ساعات

العمل .. الأسبوع الماضى أوشك المارة على الفتك بى عندما كلمتك فى الشارع . أنت تدفعين الرجل لأكثر التصرفات جنوناً وخبالاً ..

نادين :

جنوناً وخبالاً.. كأنك كنت ملاكاً قبل انفصالنا .. أنت تعرف أن الدجاجة والأرنب لن يتأقما أبداً ولا يمكن أن تفترض أنهما سيعتادان بعضهما مهما حاولت .. أهدنا كان دجاجة والآخر أرنباً .. من سوء الحظ فعلاً أننا أنجبنا طفلاً .. حسبت أن الأرنب لا ينجب من دجاجة أبداً ..

مروان :

ربما لو أعطيناها فرصة أخرى..

نادين :

أنت جريت الفرصة الأخرى مرتين ، وفى كل مرة كانت طبيعتك العدوانية الغيور غير الواثقة بالنفس تبرز للسطح .. صدقتى لقد تصرفنا بحكمة للمرة الأولى ... والآن أفسح الطريق من فضلك ..

مروان :

ليست لى حياة من بعدك .. أنت تتلذذين بهذا .. تتلذذين بالمهندس الناضج الذى يتوسل لك كى تعودى له .. أنا غير ناضج وغير واثق من نفسى ؟ .. وعلى أن أقبل هذه الإهانات ..

نادين :

يجب أن تقبل الحقائق لو كنت ناضجاً كما تقول..

مروان :

لا أقبلها .. تقولين إننى غير ناضج وغير عدوانى .. جميل .. جنت كى أثبت لك أنك عبقرية .. (يلوح بالمديّة) اشتريتها أمس ...

نادين :

لا بد أنك مجنون .

مروان :

أنت تكررين نفسك بلا توقف .. ظننت أنك ستقولين شيئاً جديداً ... أنا بالفعل مجنون ولو لم تذهبي معى حالاً لنكتب عقد زواج جديداً فلسوف ينتهى كل شىء هنا . نهاية محزنة جداً .. شابة حسناء ممزقة الحنجرة ترقد فى المشرحة ، ومهندس شاب واعد ينتظر الإعدام ، وطفل يتيم فى الثالثة من عمره .. شاعري .. اليس كذلك ؟

نادين :

قلت لك أن تبعد عنى .. سأصرخ !

مروان :

هذا مؤكد !.. لكن كم من الوقت سوف يستغرقه فى الوصول إلى هنا ..؟ سيكون عندى الوقت الكافى كى أجهد ذراعى طعناً .. جربى أن تصرخى فهذا سيبدأ إشعال الفتيل عندها ...

نادين :

مروان .. دع هذا الخنجر وتكلم بعقلانية ..

مروان :

أراهن أنك لا تعرفين الفارق بين الخنجر والمطواة والسكين .. أنت ساذجة جداً تحاولين لعب دور الفتاة القوية الواثقة .. لكن هيهات ..

نادين :

لا أحاول لعب أى شىء .. أريد أن أعيش بسلام .. فقط ابتعد ..

(يظهر ذلك الشاب النحيل الذى يحمل طابع الآسيويين قادمًا من أعلى الدرج المعدنى) .

ساعدنى يا أستاذ ...

مروان :

لا أعتقد أنه يفهم حرفاً .. من الواضح أنه يابانى أو صينى .. اسمع يا سيد .. مستر .. جو أوىى .. أنا بطل مصارعة قديم ومجنون كالكلب المسعور .. أيام كريزى .. هل تفهم هذا ؟ .. مايند يور بيزنس .. هل تفهم الإنجليزية يا أحمق ؟ .. مالك تنظر لى كتمثال ؟ . هه ..؟ ما هذا ؟

- 5 -

عندما تغرب الشمس وتلطخ دماؤها ثوب المساء الأزرق ..

عندئذ يبدأ فجر النافاراي ..

التقاليد هي عماد التحضر ..

ولم يكن (هن - تشو - كان) ينوى التخلي عن التقاليد ولا البروتوكول الذي تعلمه ، برغم أن الأمر كان مضحكاً بالنسبة له .. لقد واجه تهديدات من ذباب وبعوض أخطر من هذا التهديد بمرحلة .. إن فرصة شخص وحيد لا يعرف السارايانا ولا يحمل سلاحاً نارياً معدومة تماماً إذا واجه الكاهن الأخير ..

ليكن .. التقاليد هي التقاليد :

« تشا سارايانا ! »

قالها وهو يباعد ما بين ساقيه ليتخذ قاعدة ارتكاز واسعة برغم ضيق المكان .

« جوانغ سارايانا ! »

قالها وهو يفتح ذراعيه مباعداً بين أصابعه ، حتى تحول إلى نمر آدمى يوشك على الوثب ..

« كيوه سارايانا ! »

يقولها وهو يرجع رأسه للخلف لأقصى حد ..

من كانوا معنا منذ البداية يعرفون معنى هذا الاستعراض الغريب .. إنها الصرخات الثلاث التي يحتمها قانون (النافاراي) قبل الالتحام . لقد انتهى الدفاع السلبي (رانجانا) ليتحول إلى (السارايانا) . سأبدأ السارايانا .. احترس من السارايانا .. إليك بالسارايانا ..

برغم كل شيء وبرغم الالتزام بالتقاليد فهو غير عادل ، لأن الطرف الآخر لا يفهم شيئاً بل يظل يراقب الموقف كالأبله حتى يبدأ كل شيء ..

في اللحظة التالية ينطلق الفتى كالسهم الذي انطلق من قوسه .. لا يمكنك أبداً فهم ما جرى بل لابد أن تصوره وتراه بالسرعة البطيئة بطريقة كادر كادر .. إن التركيز أولاً على المدية التي طارت من ذراع الرجل في لحظة ، ثم يهوى سيف اليد على موضع من مواضع (الكارفا) التي تؤدي لفقدان الوعي ..



لكن الرجل يتماسك .. إنه قوى حقاً .. يوجه قبضته نحو الكاهن الأخير فلا يضرب سوى الهواء ، لأنه يتعامل مع أستاذ فى تفادى الضربات .. الضربة التالية يصعب وصفها لكنها تمت بكعب القدم اليسرى ..

فى النهاية تكوم المهندس فاقد الوعى على الدرج ، وكما تقضى التقاليد وقف الكاهن الأخير وقفة شبه عسكرية وصاح :

« **سوان هاتشاه ساراين !** »

أى (أنذرتك أننى سأستعمل الساراياتا) .. فى 99% من الحالات لا يكون هناك خصم آخر يسمع هذا الاعتذار .. دائماً ما يكون مدهولاً أو مشلولاً أو فاقد الوعى أو مقتولاً ..

صرخت (نادين) وهى ترتجف :

« هل .. هل مات ؟ »

قال وهو يمد يده لها :

« لا .. هو فقد الوعى لا أكثر .. أنا أضرب (سيني) .. »

تراجعت للخلف أكثر ، وصاحت :

« من أنت ؟ .. لا يمكن أن تكون بشرياً .. لم أر من قبل

من يقا تل بهذه الطريقة وبهذه السرعة .. »

اضطر أن يكذب فقال وهو يمد لها يده ثانية :

« كل الصينيين تقريباً مثلى .. نحن نجيد الكونج فو كأنه فى دمننا منذ ولدنا .. »

هكذا راحا يهبطان فى الدرج مسرعين وهى لا تكف عن التنهنة حتى صارا فى الشارع الذى ملأته أضواء المساء .

أمكنها للمرة الأولى أن تدقق فى منقذها : هو آسيوى فعلاً لكنه شديد الوسامة ، له وجه مريح .. متأنق جداً وله ابتسامة فيها شيء من الخجل ..

قال لها :

« أنت بخير ؟ »

« بخير .. »

هز رأسه واستدار ليبتعد كأنه لم يفعل شيئاً على الإطلاق .. الرجل الذى يعيد للمرأة مندبلها الذى سقط منها يتصرف كأنه فارس من القرون الوسطى ويلاحقها بلا توقف ، ويتوقع أن تهيم بحبه .. لكن هذا .. لقد أنقذ حياتها ولا يبدو أنه يلاحظ هذا ..

هفتت تناديه فى دعر :

« انتظر !! لا ترحل ! »

استدار ورفع حاجبيه متسائلاً .. فقالت وهى تجفف دموعها :

« أنا مرتبكة وفاقدة توازنى بالكامل .. هلا جلسنا فى

مكان ما ؟ »

عندما مر النادل جوارهما تعثر فى قدم امرأة ، وطارت الصحيفة التى يحملها والتى كانت تحمل مجموعة من الكنوس والأكواب ، وكما توقعت الفتاة ، وجدت الصحيفة فى يد منقذها الأسويى بعد ربع ثانية .. لقد التقطها قبل أن تسقط ومن دون أن تسيل قطرة واحدة.. لم تر هذا المشهد سوى مرة واحدة فى السيرك ، وتبين أن اللاعب ألصق الكنوس بالصينية وما فيها من سائل مزيف ..

قالت له فى دهشة :

« هل ترى ؟ .. انعكاساتك سريعة جداً .. قرأت ذات مرة قصة خيال علمى لـ (هـ . ج . ويلز) ابتكر فيها البطل دواء يمنحه سرعة الانعكاسات هذه .. هل أنت متأكد من أنك لست ذلك الرجل ؟ »

كان يعانى رغبة جامحة فى الفرار . لا تروهن يا أناندا .. لا تحدثوهن يا أناندا .. وإذا تحدثت إليك واحدة منهن فلا تكثرث لما تقول يا أناندا ...

لكنه اعتبر جلسته هذه جزءاً من إنقاذ الفتاة .. عملية الإنقاذ لم تكتمل بعد . الحقيقة أنه برغم خبراته الكثيرة لم يتعامل مع فتيات كثيرات فى حياته ، لهذا كان أقرب للارتباك لا يعرف ما يقول .. فقط شعر بجزء من روحه يذوب فى هذا الينبوع الرقراق المسكر .. إنها جميلة فعلاً برغم أنها لا تتمشى مع مقاييسه عن الجمال (التى لم يعلنها لنفسه قط) ومنها النحول الشديد واللون الأبيض كالثلج .

قال لها وهو يعبث بالمعلقة :

« أنت تبالغين .. قلت لك إن كل الصينيين بارعون فى الكونج فو .. والكونج فو يمنح جسدك قدرات تبدو للعامّة غير عادية .. اللفظة نفسها تعنى بلغة الماندارين (الإنجاز البشرى) .

والآن ماذا تتوین عمله مع مطلقك هذا ؟ »

قالت فى غير اكتراث :

« لا أعرف إن كان بالفعل قد انتوى تنفيذ تهديده للنهاية ،
لكنى سأبلغ الشرطة .. فقط دعنا من هذا وقل لى سبب إجادتك
للعربية بهذا الشكل .. »

يا للكذب !.. لابد من كذبة تدعم كذبة تدعم كذبة .. رجل
الأعمال الصينى القادم من هونج كونج لدراسة السوق المصرى
توطنة لتصدير أقلام .. كلام فارغ لكنه كاف ..

« وهل جنت إلى متجرنا من أجل البيزنس كذلك ؟ »

هذا هو السؤال الذى لا يملك إجابة عنه ..

النداء ... النداء المبهم ..

فى الساعة مساء كان فى فراشه بالفندق متيقظاً .. فجأة شعر
بأنه يريد مغادرة الفندق .. يريد المشى فى شوارع القاهرة مع
ميلاد الظلام .. يريد دخول هذا المتجر بالذات .. فى الطابق
الثالث رأى ذلك الرجل يجتاز الباب خلسة وهو يتأكد من أن أحداً
لم يره ، ثم بعد ربع ساعة رآها تجتاز نفس الباب فخمن ما
سيحدث تقريباً .. طبعاً سيناريو الزوج المنتقم لم يكن فى ذهنه
وقتها ..

لكن ليس هذا هو السبب .. النداء الغامض لم يكن لإيقاظ
المرأة فهو لا يملك حاسة الاستبصار ولا أى نوع من الحواس
الفائقة تلك .. ما جاء به هنا هو نداء من الأخ مياتج بالذات ..

نداء من أجل الأمر الذى جاء به من التبت .. أما إنقاذه للفتاة
فلا شك أنه صدفة ..

إنه النداء ..

لكن ما هو ؟

- 6 -

رفعت :

عم تفتش في الصحيفة يا (هن - تشو) ؟

هن - تشو - كان :

لا أدري . لو وجدت ما أريد لعرفته على الفور .. إن لغتكم المكتوبة صعبة جدًا بالنسبة لى .. أشعر كأننى أتأمل نقوشًا .. إنها تشبهه .. تشبهه ..

رفعت (بخبث) :

تشبه لغة (التبت) ! .. أليس كذلك ؟ .. هل تريد أن أقرأ لك شيئًا ؟

هن - تشو - كان :

هل من خبر عن ذلك الرجل الذى ضربته .. المتجر فى وسط المدينة الذى ؟

رفعت :

أفهم .. أفهم .. أشياء كهذه لا تنشر فى الصحف فأنت لم تقتله .. الصحف لا تنشر خبرًا عن كل من يتلقى (علقَة) فى مصر .. ناولتى الجريدة . هل ما زلت ترى تلك المرأة ؟ .. لقد نسيت اسمها ..

هن - تشو - كان :

نادين .. اسمها نادين .. هى تتصل بى من حين لآخر ..

رفعت :

أعرف .. السبب أنها تتصل بى أنا فى كل مرة .. وفى كل مرة آسف يا سيدتى .. هو لا يقيم هنا لكنى سأبلغه ..

هن - تشو - كان :

آسف .. ليس لدى رقم هاتف فى القاهرة سوى الفندق .. أعتقد أن رقم هاتفك أكثر فعالية ..

رفعت :

ببنى وبينك .. هل تتوقع أى خطر عليها ؟ .. لقد انتهت فصول القصة ، وما أحسب اهتمامك بها إلا ذريعة للاتصال بها . فى الأفلام العربية القديمة مقطع حوار متكرر ، هو أن يقول صاحب البطل للبطل فى خبث أبله : « آه ه ! .. يبدو أنك وقعت يا بطل ! » . يخيل لى أن هذا ما أريد قوله ... يخيل لى كذلك أن جواتما والأخ (أناندا) لن يرضيا عنك كثيرًا ..

هن - تشو - كان :

كف عن السخف يا (ريفات) .. أنت تعرف أن النساء لا مكان لهن فى حياتى ..

رفعت :

لكن لك مكاناً في حياتهن .. هذه الأخت لا تتصل لأبها خاتمة من طليقها وأنت تعرف هذا .. على كل حال دعنا من هذا السخف .. فلندع الخلق للخالق كما يقول العرب ، أو عش ودع غيرك يعش كما يقول الغربيون .. هذه هي صفحة الحوادث .. لا يوجد شيء ...الذبح المعتاد والحرق والسطو المسلح . هذا يوم هادئ جميل .. لكن

هن - تشو - كان :

ماذا هنالك ؟

رفعت :

هنالك جثة وجدوها في موضع قريب جداً من ذلك المتجر .. التحقيقات جارية .. متأكدون من أنها نوبة قلبية عادية جداً لرجل في العقد الثالث من العمر . متأكد من أنك لم تقتل ذلك الزوج الكليم ؟

هن - تشو - كان :

طبعاً .. أنا أتحكم في أعصابي وضرباتي جيداً .. لقد انتقيت موضعي (كارفا) ممتازين .. أنا أضرب (سيو) ..

رفعت :

أعرف هذا .. أعرفه برغم إصرارك على عدم نصب المفعول به .. لكن أؤكد لك أنه لو كان اسم المتوفى (مروان) فأنت في ورطة حقيقية .. لحظة .. إن بياناته هنا فقد كانت أوراقه معه .. اسمه (عباس الفقى) .. محاسب .. يبدو أنك نجوت هذه المرة .. لكن هل هذا هو الخبر الذى كنت تبحث عنه ؟

هن - تشو - كان :

لا أدري .. إن النداء يلح على رأسى .. شيء ما فى هذا المتجر .. فى كل ليلة أشعر برغبة جهنمية فى الذهاب هناك .. كأن الأخ (مياتج) نفسه يأخذنى من يدى ليلقى بى هناك .. لو كان شيء سيحدث فلسوف يحدث فى تلك البقعة .. لو كان على أن أخاف شيئاً فهو فى ذلك المكان .. (ريفات) .. هل يمكنك أن تحصل على معلومات أكثر عن ذلك المتوفى ؟ .. هل من رأى للأطباء ؟ .. هل من تشريح ؟

رفعت :

هذا ليس رجلاً ناقص الأهلية ، وفى 90% من الحالات لا يقبل أهله بالتشريح ما دام السبب واضحاً ..

هن - تشو - كان :

حاول أن تعرف ..

رفعت :

سأحاول لكن ألا تعتقد أن في الأمر كثيرًا من المبالغة ؟ ..
أعتقد أن حنينك الشديد لبينتك الأولى قد حرك هذه الرؤى . لو
خرجت للعالم لوجدت الشمس مشرقة والناس يعيشون حياتهم
المعتادة .. لا توجد علامات على خطر قريب أو بعيد . إن كتب
التبث هذه سوف تنسف عقلك .. هناك عرافة أوكرانية مجنونة
اسمها مدام بلافاتسكى Blavatsky ذهبت للتبث وتعلمت الكثير من
الزهيان ، ثم عادت لتكتب كتابًا اسمه (ديزان) تصورت أن كل
أسرار الكون فيه .. صدقتي .. الحياة صارت أكثر وضوحًا اليوم ..

هن - تشو - كان :

حذار يا (ريفات) .. إن صداقتك تدفعني دفعًا لقبول إهانتك
لمعتقداتي ، لكن أوكد لك أن كلامك يؤلم ..

رفعت :

معك حق ... على المرء أن يحترم عقيدة كل إنسان . لكني
أردت مساعدتك وأنت تفهم هذا ... في رأبي أن حالتك مزيج من
الحنين لبينتك القديمة والحنين للثنى .. لا تقل لا فأنت شاب
قوى يأكل ويترييض ويتنفس هواء نقيًا وقد خلق له الله هرمونات
نشطة .. الحل هو أن تتزوج ..

هن - تشو - كان :

أنت لا تفهمنى بتاتا ...

رفعت :

وكذا أنت ...

هن - تشو - كان :

سأتأمل قليلاً.. كان الكاهن الأعظم يقول لنا : عندما تحتشد في
صدرك الكلمات القاسية ، فقد حان وقت أن تتحول إلى زهرة
لوتس صموت .. فقط الشجرة أحكم من أن تلفظ كلمات قاسية .

رفعت :

حسن .. تأمل كاللوتس أو كالكرنب يا سيدي .. ها هي ذى
الأريكة .. انزع حذاءك وترجع .. ولسوف أجرى بعض المكالمات
الهاتفية . الحكاية هي أنه لا نفوذ لى فى القاهرة لكن صديق
عمري (عادل) قد صار من ضباط الداخلية شديدي الأهمية ..
هكذا أعرف أى شىء أريد معرفته فى القاهرة عن طريق
الاتصال بالإسكندرية .. هل تسمعنى ؟

هن - تشو - كان :

رفعت :

جميل .. بدأ السيرك مبكرًا اليوم ..

- 7 -

أنت تعرف ما يحدث للخفراء الليليين فى قصصى فلن أطيل الوصف ..

أنت تعرف ما يحدث للخفراء الليليين المطمئنين إلى مسار الحياة ..

أنت تعرف ما يحدث للخفراء الليليين الذين يلتهمون الأرز بالكوسة ويحلمون بكوب شاي ثقيل ..

عندما انتهت ساعات العمل فى المتجر المدعو (إيجانس) ، كان (إبراهيم) الخفير الليلي قد أعد كل شيء للسهرة مع صاحبه (مصطفى) ...

لقد رحلت البائعات ، وتم توريد محتويات الخزينة - وهى تجعله متوترًا بالفعل - حيث أخذها الصراف إلى مكتب المدير الذى يُغلق بباب حديدى ثقيل ، وفى الصباح تودع فى المصرف . لا يمكن الاستيلاء على هذه على الأقل إلا بواسطة فريق من اللصوص المتحمسين الذين يشبهون لصوص الأقلام الأمريكية .. يحمد الله على أن الجريمة فى مصر ما زالت ساذجة عفوية بلا تخطيط تقريبًا ...

تم إغلاق أقسام المتجر كلها ، ودخل دورات المياه يتأكد من عدم وجود مختبئين باعتبار هذه حيلة قديمة جداً .. هذه هى طريقة السرقة التى يفهمها ويتوقعها ..

هكذا أمكنه أن يغلق معظم الأنوار ، ثم جلس هناك جوار المخزن وافترش الأرض فى ضوء نيون خافت . إن الجو يسمح بالرقاد على الأرض وإن كان بعض البرد يتسلل لعرقه فجراً ..

جاء (مصطفى) فأشعلا الموقد الصغير ، ثم فتح المنديل الذى يحوى حلة الطبخ الصغيرة وحلة الأرز .. أرسلتها له زوجته عند المغرب . هناك لحم وهذا يجعل الحياة أجمل . من أجل هذه اللحظة يتحمل كل تلك الساعات المملة . هناك ملعقتان والكمية زائدة لأن زوجته تعرف أن مصطفى أعزب ولا أحد يرسل له طعامًا ..

هناك بورى صغير يدخان عليه المعسل وهناك مذباح مضبوط على محطة أم كلثوم . هكذا يمر الليل على كل حال .. وفى الصباح يكون عليه التأكد وصاحبه من إخفاء معالم العشاء والتدخين .. لا بد أن المدير يعتقد أنهما يقضيان الليل واقفين متوترين مستعدين لإطلاق النار .. لا وقت للتدخين أو الأكل أو النوم ..

الآن .. أنت تعرف ما يحدث للخبراء الليليين الذين يشعر واحد منهم بأنه يريد دخول الحمام ..

قال مصطفى وهو يضع كوب الشاي الذي لم يبق فيه سوى بعض (التفل) :

— « أريد دخول الحمام .. »

يفعل هذا في نفس اللحظة تقريباً من كل سهرة .. يبدو أنه من المصابين بحالة حادة من الانعكاس المعدي القولوني الذي يرغم صاحبه على دخول الحمام بمجرد أن يأكل لقيمات من الطعام .. العامة تعتقد أن الطعام يدفع بعضه ...

ونهبض إلى دورة المياه الموجودة في ذات الطابق .. إن معه المفتاح طبعاً .. هكذا أدار المقبض ودخل ..

على حين جلس إبراهيم على الأرض يرشف الشاي في استمتاع وهو يصاحب صوت عبد الحليم حافظ في المذياع بصوت خفيض نشاز ..

— « قول يا أملى قول مخبي عليا ..
إبيبيبيبيبييه ؟ »

من المستحيل أن يقد النعمة بشكل صحيح ، ويبدو أن الأذن الموسيقية والثقافة شينان متلازمان ..

ثم راح يدق على الأرض بكلوة يده ملاحقاً النعمة .. صارت نظراته ناعسة بلا معنى على الإطلاق .. نظرات بقرة شبعانة .. لو كان مصطفى مصاباً بزيادة الانعكاس المعدي القولوني ، فهو مصاب بظاهرة التهيبط .. كأن الدم كله هناك في معدته فلم يعد شيء يبلغ مخه ..

يريد أن ينام .. لا بد من كوب شاي آخر .. كي

ماذا يفعله مصطفى في الحمام كل هذا الوقت ؟

لقد أمضى هناك نصف ساعة بلا مبالغة ...

هكذا نهض في الضوء الخافت ودق الباب عدة مرات :

— « مصطفى .. هل توفاك الله ؟ »

ثم عاد يندندن في صوت نشاز كالتهيق :

— « قول يا أملى قول مخبي عليا ..

إبيبيبيبيبييه ؟ »

لا صوت من الداخل .. إن هذا الحمام يصلح لشخص واحد فقط لذا

يغلق من الداخل . هكذا واصل دق الباب بعنف أكثر .. لا شيء ..

« مصطفى .. هل نمت أيها الأحمق ؟ »

الآن صار الأمر خطراً .. مصطفى شاب والشباب لا يموتون بنوبة قلبية مفاجئة فى الحمام ، لكن الأعمار بيد الله .. من يدري ؟

هكذا ضرب الباب بكتفه .. ثم ضربه بقوة أكثر .. إن من نشأ نشأة ريفية مثله يعتبر هذه الأمور من صميم كرامته ورجولته . لا يقبل الفشل أو أن يطلب عون رجل آخر .. فى شبابه كان وأقرانه يتبارون على كسر حزم قصب السكر بضربة واحدة .. الشدة .. أهم شيء ..

هكذا نزع الجلاب ليوقف بالصديري والكلسون ، واستجمع قواه أكثر وضرب الباب بأعنف ما استطاع ، فكاد يسقط داخل المرحاض ...

لقد انفتح الباب وقد تهشم جزء منه كان يتمسك بالمزلاج .. وعندما استعاد توازنه كان يوشك على تحطيم المرحاض وهو يتمسك كى لا يسقط عليه . وكان الظلام شبه دامس وإن ساعده الضوء القادم من الخارج من مصباح النيون .

على الأرض كان مصطفى راقدًا بلا حراك ..

مصطفى مفتوح العينين شاخص النظرات .. لا يجب أن تتحسس عنقه كى تدرك أنه ميت ..

والسبب ؟

يعرف يقينًا أنه رأى شيئاً ينساب بين قضبان النافذة المفتوحة .. النافذة التى لا زجاج لها .. لم يجد الوقت الكافى ليعرف ما هو ، وإن خيل له للحظة كأنه يرى أربعة ثعابين تتحرك معًا ..

جنا على ركبته فى المكان الضيق وتفحص الجثة ..

هناك شيء غريب ..

خدا مصطفى غانران وجبهته غائرة .. جلده مجعد كأنه فقد وزنًا فى وقت قصير ... باختصار يبدو كأنه ثمرة طماطم اعتصرها أحدهم .

ما معنى هذا ؟

لكن (إبراهيم) لم يكن يرى هذا المشهد للمرة الأولى . الفتاة الصغيرة ذات سبع السنوات التى وجدوها فى الزقاق الخلفى للمتجر منذ ثلاثة أيام .. كان هناك ميزاب يلفظ محتوياته طيلة اليوم ، وكانت الجثة هناك تحته .. وجدها جامع القمامة وحسبها خرقة ملقاة مبتلة . عندما اقترب أدرك أنها طفلة ..

كانت جثة فارغة .. لا يعرف كيف يصف المشهد لكنه رآها
وحملها بين ذراعيه .. كانت مجوفة فعلاً.. قشرة .. كأن عنكبوتاً
عملاقاً امتص ما فيها من عصارة وحياة ..

الآن تحول مصطفى إلى شيء مماثل .. ماذا يدور هنا ؟ ..

فقط كان يعرف يقيناً أن الأسمية انتهت عند هذا الحد ، وأنه
لن يدخل حجر المعسل أبداً . سوف يمتلئ المكان بالشرطة خلال
ساعة ...

— 8 —

(على الهاتف)

عادل :

رفعت .. أيتها المومياء .. !.. ألا تنوى أن تموت أبداً ؟

رفعت :

وددت لو فعلت هذا لأسعدك لكن الأمر ليس بيدي . لا أريد أن
أعطك .. هل من أخبار عن ؟

عادل :

دعك من هذا الهراء .. هيه ؟.. ألا تنوى زيارتي في
الإسكندرية ؟ .. ثق أنك ستجد سيارة بوكس تحت بيتك تحملك
حماً لى .. سوف أعتقلك اعتقالاتاً...

رفعت :

أ .. (عادل) .. أنت تعرف أنني لا أرتاح لعوالم الشرطة هذه ..
أنت من الأسباب النادرة التي تجعلني أتعامل مع أية مديرية أمن .
هل وجدت أية أخبار عن تلك الوفاة التي حدثت قرب متجر ... ؟

عادل :

بيني وبينك هذا ما يقال للصحافة .. لكن الجثث تحمل طابعًا غريبًا وقد فشل الطبيب الشرعى فى فهم شىء .. كل شىء يشير إلى أن الفاعل واحد ..

رفعت :

فاعل ؟

عادل :

النوبات القلبية لا تعترض الجثة وتخليها من أية عصاره أو حيوية . كل الجثث بدت كأنها حبة ليمون تم اعتصارها بكف مصارع .. شىء قد امتص داخل الجثث ولا أعرف كيف أشرح .. أنا لم أر شيئًا .. الكلام كلام ضباط القاهرة .. يقولون إن الأمر بدا كأنه عنكبوت فرغ من امتصاص ذباية ..

رفعت :

وكل هذا سر حتى اللحظة ؟

عادل :

متجر (إيجانس) ؟... فى وسط البلد غير بعيد عن شارع 26 يوليو .. أية جريمة تعنى ؟ ..

رفعت :

هل هناك الكثير ؟ .. لا توجد سوى جريمة واحدة ..

عادل :

يبدو أنك غائب عن الوعى .. هذا عهدى بك .. هناك أربع جثث فى ذات المربع ، حتى أن زملائى فى القاهرة أطلقوا على المنطقة (مربع الموت) .. كثفوا الدوريات وهناك رجال شرطة سرية أكثر من عدد المواطنين ..

رفعت :

هذا غريب .. لم أسمع سوى عن حادثة واحدة ..

عادل :

بل هناك أربعة موتى .. آخرهم خفير ليلى فى ذات المتجر ..

رفعت :

كلهم مات بنوبة قلبية ؟

عادل :

طبعًا .. مهمة الشرطة هي الحفاظ على الاستقرار.. هذا يتضمن الكتمان أحيانًا .. إن الذعر قد يؤدي لأفعال غير مدروسة .. ولكن لماذا تهتم بأمور كهذه ؟

رفعت :

أنت تعرف أن أى شيء عجيب يتدرج ليسقط في حجرى فى النهاية .. أنت تعرف أفلام توم وجيرى عندما تسقط صخرة من الفضاء . يعرف القط على الفور أنها ستهوى فوق رأسه هو بالذات ، ويقف بانتظارها وهو يدخن ...

عادل :

هاهاهاها ها ..!! ظريف كالعادة يا رفعت !! لو أننى فى القاهرة لالتهمتكَ التهامًا .. ثنى أننى سأنفذ وعيدى بأن أرسل لك اليوكس .. ستكون دعابة ظريفة .. هاهاها ها !

رفعت :

ها ها ها .. فعلاً .. هل تسمح لى بوضع السماعة لأصابع بالرعب قليلاً ؟ .. على فكرة .. ألف شكر ..

هن - تشو - كان :

هل من أخبار يا ريفات ؟

رفعت :

هل من أخبار عندك أنت ؟

هن - تشو - كان :

الأخ مياتج يزورنى بكثافة غير عادية .. يردد الحروف .. ويردد (اليوم .. اليوم) .. هل يدل هذا على شيء ؟

رفعت :

أعتقد أنه يدل على أنه يعنى اليوم ..

هن - تشو - كان :

وماذا يحدث اليوم ؟ ... ثم ما الأخبار عندك أنت ؟

رفعت :

كل شيء مطمئن ورائع .. فقط هناك أناس يموتون وتخلو عروقهم وأنسجتهم من أية دماء أو عصارة .. هناك نمط جغرافى معين يجعلهم يموتون فى منطقة ذلك المتجر اللعين ..

هن - تشو - كان :

هل تعنى .. أن هناك من يمتص دماء الأحياء مثل (الشيانج شى) ؟.. أنت تعرف أن الروح الشريرة فينا تدعى (باى) .. لو أن الإنسان مات ميتة شنيعة ، أو لم يدفن بالسرعة الكافية ، أو استطاعت الحيوانات أن تعيث بقبيره ، فإن الباي تسيطر على الجسد ويتحول إلى (شيانج شى) .. لو مر قط على رأس الميت فإنه يتحول إلى (شيانج شى) ..

رفعت :

صدقتى أعرف هذه الأسطورة ، لكن لا أصدق أن شيانج شى اختار مصر لقضاء إجازته ..

هن - تشو - كان :

وماذا تفكر فيه ؟

رفعت :

أفكر فى عنكبوت آدمى عملاق .. سيكون هذا جديدًا فعلاً ... أفكر فى كائن لا يملك القدرة على تصنيع الحياة لنفسه فيمتصها مصاً من أجساد هؤلاء .. مثله مثل حامول البرسيم أو سمكة اللامبرى أو حتى دودة الأتكلستوما . أفكر فى

هن - تشو - كان :

تفكر فيما أفكر فيه طبعاً ..

رفعت :

أفكر فى طفيل ...!... (هن - تشو - كان) .. يبدو أننا نقترّب جدّاً من اللغز الذى جاء بك هنا !

- 9 -

جولتنا حول المتجر لم تكن مثمرة جداً ..

إنه ضخم نسبياً بالنسبة لعهد ما قبل الانفتاح هذا .. عندما كنا نبتاع الجبن من البقال ، ولم يكن أحد يعرف معنى (سوبر ماركت) إلا من عاش في الخارج فترة . ولم تكن هناك مولات أو مراكز تسوق ، بل هي محلات كبيرة على طراز (هانو) و (سيدناوى) ، والفتاة التى تريد التحذلق كانت تذهب لشارع الشواربى لتبتاع سروالاً من (الديولين) الأخضر وبلوزة مشجرة قبيحة المنظر وخذاء ارتفاع كعبه متران .. رياه !.. من الغريب أن الناس كانت تملك هذه الجراة .. كان من الطبيعى أن ترى شاباً يلبس سروالاً أحمر بلون الطماطم ، ضيقاً جداً حول الردفين ، متسعا كالفستان حول القدمين ...

كنت أقول إتنا درنا حول المتجر فكان يحتل ناصيتين ، ويحيط به من اليسار والخلف زقاقان غارقان فى الماء بسبب المجارى ومياه المزراب ..

دخلنا المتجر فى السابعة مساء ، وكان بالفعل على غرار المحلات الكبرى الخاصة بالقطاع العام وقتها . هناك طابق

للسجاجيد والستائر والأجهزة الكهربائية .. طابق للمفروشات والأقمشة والثياب الرجولية .. طابق للثياب الأنثوية .. طابق لألعاب الأطفال وكل ما نسوا وضعه فى الطوابق السفلى ..

« كيسى !! »

كانت هذه هى الصيحة شبه القتالية التى تقولها - بصوت أنفى عميق أمر - كل بائعة تنتهى من كتابة أمر الدفع للعميل ، فيهرع ذلك الفتى الشاحب يأخذ ما ابتاعه العميل إلى قسم التسليم . فى كل طابق هناك باب خلفى صغير يقود لذلك الدرج المعدنى الخاص بالعاملين . وفى كل طابق هناك خزانة يقف أمامها عدد من العملاء الذين

« كيسى !! »

.... يريدون الدفع .. ثمة جو حكومى واضح كأننا فى السجل المدنى . هذا عصر ما قبل الخصخصة طبعاً ، لكن المتجر ليس حكومياً .. هو فقط يقلد المتاجر الحكومية لأنه لا يعرف سواها . فى الطابق الثالث كانت (نادين) تقف خلف الكاونتر وتعرض بعض الثياب الأنثوية الحميمة على عميلة متشككة . عرفت أنها هى عندما أشار لها (هن - تشو - كان) بطرف خفى كى

يخبرني بأمرها . طبعاً كانت طبيعة عملها تجعل اقتراب الرجال من خامس أو سادس المستحيلات .. من المشين أن يهتم رجل بهذا الجزء من المتجر بالذات .. لا أنكر أنها كانت جميلة .. سمراء جميلة ممتلئة قليلاً ، كبيرة اليدين ، وكنت أحسب هذه مبررات كافية لنفور (هن - تشو - كان) .. إنه قادم من زمن كانت أيدى وأرجل الفتيات الصغيرات فيه توضع فى علب حديدية كى لا تكبر ، ونحول الفتاة مقدس عندهم .

لكنها رأت (هن - تشو - كان) فأشرق وجهها ، ولوحت بذراعها ..

فلتقطع ذراعى أنا إن لم تكن علاقتهما أكثر دفئاً مما يحكيه لى . هذه الشابة يشرق وجهها بالحب فعلاً . الوغد الآسيوى لا يحكى لى كل شىء ويعتبرنى حماراً غافلاً .. دعك من أنها تتصرف كأنها اعتادت رؤيته .. ليست هذه أول مرة ..

« كيسى !! »

فلما تخلصت من عميلتها لحقت بنا ضاحكة . نظرت لى فى عدم فهم .. فأننا لست أباه على الأرجح ، قال لها بحرج بطريقته شبه العسكرية :

« هذا ريفات .. طبيب وصديق عزيز .. »

صافحتها فى كياسة ثم طلبت منها ألا تترك العمل من أجلنا . فقالت فى مرح :

— « اليوم أعمل من السابعة حتى الحادية عشرة مساءً .. مواعيد عمل عجيبة فعلاً ، لكنها أفضل من العمل من العاشرة صباحاً حتى السابعة مساءً .. هذا يحدث ثلاثة أيام أسبوعياً .. »
فى طريقها رقى لا شك فيه .. جامعية وابنة ناس طبيين كما هو واضح ... قلت لها فى تردد :

— « لا أعرف كيف .. فهمت أن لديك طفلاً .. و... »

— « فى العادة تعنى به أمى أثناء العمل ، لكن اليوم قد قررت أن أصحبه معى .. »

هنا سمعت صوت الضحكة .. ورأيت الشيطان الصغير الجميل يركض بين الواجهات الزجاجية .. لو كان يشبه أباه فأبوه جميل الصورة فعلاً بالطبع إذا تغاضينا عن فكرة أننى لا أحب الأطفال الذين تجعلهم أمهاتهم كالفتيات ، وتغضى عيونهن (قصة) من الشعر الأسود ، لكنى لا أتبين ملامح الأم فى وجهه . اسمه (أشرف) فيما علمت .. فى الثالثة من عمره وهى سن يحبها الجميع ، لكنى عامة لا أطيق الأطفال فى أية من حالاتها - الطفل اللطيف هو الذى لم يولد . ويبدو أن

« هل ترى ؟.. علمته بعضًا من فن التفادى !! »

يبدو لى أن الأمور مرسومة أكثر من اللازم وأنا صرت عجوزًا مخرفًا شديد السداجة .. هيا بنا يا بنى ودعك من هذا السخف...

هز رأسه فأبعد خصلات شعره الأسود التى غطت عينه ونهض بسرعة ، وابتسم للطفل ثم أمه .

قلت له :

« بالمناسبة .. هناك من مات داخل دورة مياه فى هذا المتجر .. هل لديها معلومات عن الموضوع ؟ »

« لا تعرف إلا ما ذكرته أنت لى .. عندما جاءت فى الصباح كانت الشرطة قد أنهت كل شيء .. »

« أقترح أن نرى دورة المياه تلك .. لعك واجد فيها شيئًا .. »

« ريفات .. أنت تتحدث كأننى وسيط روحى .. أنا لا أملك أية قدرات خارقة للحواس .. »

« لكن الأخ (ميانج) يملك .. ربما يخرج رأسه من المرحاض ويقول لك شيئًا مهمًا .. أعتقد أنه يجب أن يدخل من

« كيس !! »

.. هناك اتفاق غير مكتوب أن يُترك الصبى وشأنه . طبعًا لا توجد نقابة هنا تطالب بحضانه لأبناء البانعات .

« كيس !! »

اتجه (هن - تشو - كان) نحو الطفل ، واتخذ وضع الاحتباء وفتح ذراعيه وقال شيئًا ما .. من ثم هرع الطفل إليه وبدأ يصارعه بالقبضتين ثم وجه له لكمة .. رياه !.. سوف يتظاهر بأن الصبى ألقاه أرضًا وهزمه !.. سوف أمنح مالى كله للرجل الذى لا يداعب الأطفال هذه المداعبة السخيفة .

لكن الطفل له رأى مختلف طبعًا .. لقد راح يكرع بالضحك حتى سال الدمع من عينيه ..

اتجهت نحو (هن - تشو - كان) الذى ركع على ركبتيه ليبدأ جولة أخرى ، وقلت :

« جميل أن تلاطف الأطفال ، لكن ألا ترى أن علينا الرحيل ؟.. نحن نبحث عن طفيل يحذرنا منه الأخ (ميانج) .. لا تنس هذا .. »

وجه لكمة ملاطفة للطفل ، لكن هذا أدار رأسه لليمين بسرعة فتفاداه .. قال (هن - تشو - كان) :

نفسه من هذا الغموض الذى يضعنا فيه .. عليه أن يكون محددًا ..
لقد أوشكت مدرسة الرمز على الاندثار فى العالم كله ..

« قلت لك إنه ممنوع من التصريح .. هى رموز يتمكن من
تمريرها لعالمنا عبر ثغرات الشفافية التى يمنحها الحلم لى .. »

كانت دورة المياه المعنية فى الطابق الثانى.. وهكذا انتظرتة
فى الخارج على حين دخل متظاهراً بأنه يقضى حاجته ،
وانتظرت فى صبر ..

ثمة حركة غير عادية .. هناك جو عام من التوتر .. عمال
بروحدون ويجهنون ، وبائعات يركضن .. هناك رائحة الأدرينالين
تتسرب لأنفى بوضوح فلو كنت وحشاً لانقضضت ومزقت الجميع ..

« هذا مغلق كذلك ؟ »

« ونافذة العرض ..؟.. رياه .. من الذى ؟ »

« الهاتف .. ماذا عن ؟...؟ »

ومن مكان ما ظهر المدير .. رجل أشيب له كرش عملاق
وسلطة كاسحة ويلف كمي قميصه بكمين صناعيين أسودين
لمنعهما من الاتساخ ، لا يمكن ألا يكون المدير ... كان يحمل
دفترًا ويبدو متوترًا ومر بنا فسمعته يقول :

« هذه مزحة سخيفة جدًا .. هل من هاتف يعمل ؟ »

كان ذلك العامل يمر بجوارى فاستوقفته وسألته عما يحدث
هناك.. نظر حوله كأنه يتأكد من أن المدير لا يسمع ، ثم قال :

« الأبواب انغلقت علينا يا أستاذ .. هناك مجنون حبسنا هنا

بلا سبب ..!! »

- 1 -

(داخل المتجر الكبير)

المدير :

هذه مزحة سخيفة .. أين هؤلاء العمال ؟

موظف :

لا أجدهم .. والهاتف لا يستجيب ..(*)

المدير :

ماذا تعنى ؟ .. هناك من حبسنا هنا وقطع أسلاك الهاتف ؟

موظف :

يبدو أن هذا ما حدث يا سيدى ... هذا هو (مختار) الذى
يجلس قرب الباب ..

مختار :

لا أعرف كيف حدث هذا يا سيدى .. كان هناك طفح للمجارى لذا
ابتعدنا عن الباب الرئيس منذ بداية الأمسية .. وفجأة منذ خمس
دقائق تحرك الباب الزجاجى لينغلق ثم هوى الستار الحديدى من
أعلى ... الستار الذى يغلِق من الخارج ويجهد رجلين .
(*) نحن فى السبعينيات فلا يوجد هاتف محمول

الجزء الثانى

أسرى

كنت قد استوعبت الأمر وقدرت أنه شىء من الأشياء التى
لا يمكن تفسيرها ، التى اعتدتها فى حياتى على كل حال ..
أبواب تنغلق تلقائياً ؟ .. هذا هو المعتاد وهذا هو إيقاع حياتى ..
أحتاج لوقت أطول من اللازم كى أرى باباً طبيعياً مهذباً ..

الخدِير :

ارفعوها !... يستطيع العمال تهشيم الزجاج ورفع الستائر الحديدية من الداخل .. ليستعملوا أظفارهم لو اقتضى الأمر ..

موظف :

سنجرب ذلك يا سيدي ...

الخدِير :

هل من نافذة مفتوحة في مكان ما ؟... ربما استطاع أحدهم التسلق والخروج منها ..

موظف :

كل النوافذ مدعمة بالقضبان يا سيدي .. انت تعرف هذا أفضل منى .. ربما نلقى منها أشياء لكن معظمها يطل على الزقاقين ..

الخدِير :

لابد أن يسترعى انتباه المارة أن المحل مغلق وبرغم هذا اللافتات مضاعة وكذا نوافذ الطوابق العليا ..

موظف :

للأسف يا سيدي .. الكهربائي يريد أن يخبرك بشيء ..

الخدِير :

قل كلامًا منطقيًا يا أفندي !.. لا تحدثني عن الأبواب التي تنفلق تلقائيًا ...

مفتار :

هذا ما حدث يا سيدي والله على ما أقول شهيد .. حدث أمام عيوننا .. سل (بيومي) و (سنتريسى) ..

الخدِير :

هناك بابان آخران .. باب العاملين وباب البضاعة ..

موظف :

نفس الشيء يا سيدي .. لقد انفلقت الأبواب الثلاثة ..

الخدِير :

تقول أيضًا أن الواجهات الزجاجية التي تعرض فيها المعروضات والمانيكانات قد انفلقت ؟.. الستار الحديدي نزل على كل واجهة منها من الخارج ؟

موظف :

نعم يا سيدي ..

الكهربائى :

لقد قمت بفحص لوحة التوزيع يا سيدى .. بالتأكد المتجر مظلم تمامًا من الخارج .. من ير المشهد فى الشارع سيعتقد أننا أغلقنا المكان مبكرًا .. لن يسأل عنا أحد مؤقتًا .. على الأقل حتى يبلغ أقاربنا الشرطة ..

موظف :

لن يبحثوا هنا .. مهمنا تأخرنا فلن يخمن أحد أننا سجناء فى المتجر .. كل واحد سوف يجرب الاتصال ويفشل ، من ثم يقرر أن الجميع عادوا لبيوتهم ويبدأ البحث فى مكان آخر .. بل أخشى أن يتكرر هذا غذا .. سوف يفترض الجميع أن هناك أسبابًا جعلت المتجر يعلق يومين .. هذا ليس مكانًا حكوميًا ...

الكهربائى :

إنها لوحة التوزيع يا سيدى ..

المدير :

وهل هذه معضلة ؟ .. لم لا تقوم بإصلاح اللوحة ؟ .. هلم أعد التيار .. سوف نقوم بفتح النور وغلقه مرارًا وهذا سيجلب انتباه المارة لنا ...

الكهربائى :

المشكلة هى أن هناك تخريبًا دقيقًا جدًا .. هناك أسلاك مدفونة فى الجدار تأكلت .. لا يمكن أن أعيد الكهرباء بهذه السهولة ، وأحتاج لأشياء من الخارج ..

المدير :

لماذا أدفع رواتبكم ؟ .. هذه من أغاز الكون .. من الواضح أن أحدًا لا يفعل شيئًا سواى فى هذا المتجر .. أريدك أن تختفى لبضع دقائق .. بعدها تعود لى لتخبرنى أنك أعدت أسلاك الهاتف وأعدت الكهرباء للواجهة .. بالطبع تعرف أنك مطرود لو لم تفعل ..

الكهربائى (بصوت خفيض) :

مطرود مطرود .. فقط أخبرنى كيف أخرج من هنا ما دمت مطرودًا ..

بانعة (فى هستيريا) :

أستاذ رفاعى .. لا يمكن أن نبقى هنا .. إن بابا سيجن .. سوف يقطع رقبتى لو لم أعد فى موعدى .. يجب أن نخرج ..

المدير الذى تبين أنه رفاىى :

جميل .. جميل .. يمكنك الرحيل حالاً .. أنا لا أمنعك ..

(يتركها فى حالة هلع ويتجه لكان آخر)

البانعة :

من المجنون الذى فعل ذلك ؟ .. ولماذا ؟

موظف :

الأمر يفوق أفعال مجنون .. كيف استطاع شخص واحد أن يغلِق المداخل ويقطع الهاتف والكهرباء بهذه السرعة ، ونحن جميعاً موجودون ؟

الكهربائى :

لم يفعلها شخص وإنما عفريت .. هناك بسم الله الرحمن الرحيم فى هذا المتجر ، ويبدو والله أعلم أننا سنموت !

- 2 -

كنت أراقب هذا السيرك مفضلاً الصمت ..

أول من يتساءل أو يفعل سوف يتلقى قدرًا لا بأس به من السباب . هناك حالة انفلات أعصاب عامة يسهل تخيلها والأدهى من العملاء سوف يبدعون فى الهستيريا أيضًا وهذا لن يحسن الأمور ..

كنت قد استوعبت الأمر وقدرت أنه شىء من الأشياء التى لا يمكن تفسيرها ، التى اعتدتها فى حياتى على كل حال .. أبواب تنغلق تلقائياً ؟ .. هذا هو المعتاد وهذا هو إيقاع حياتى .. احتاج لوقت أطول من اللازم كى أرى بابًا طبيعيًا مهذبًا ..

لكن السؤال الذى ألح علىّ هو : لماذا الآن ؟ .. لماذا هنا ؟

خرج (هن - تشو - كان) من الحمام المظلم وهو يجفف يده ، ثم قال لى ببراعة :

« لا شىء ! »

قلت فى غيظ :

« استنتاجاتك ممتازة .. لقد جاءت نهاية العالم وأنت فى

الحمام .. »

« ماذا تعنى ؟ »

ولاحظ على الفور جو التوتر العام الذى أحاط بالمكان .. كان الناس ينزلون من الطابق الرابع كأن هناك حريقاً ، لكن مع الكثير من التدافع والفوضى .. معظم العاملين تركوا أماكنهم ، ومن مكان ما انقضت (نادين) على يد ابنها لتحتفظ به فى قبضتها ..

شرحت له الموقف فى ثوان ..

نظر لى ونظرت له .. نحن نفهم بعضنا جيداً .. الأمر يتعلق طبعاً بما جننا من أجله .. لا شك فى هذا ..

قال لى همساً وهو ينتحى جوار جدار :

« هل تعتقد أن للـ .. للطفيل دوراً فى هذا ؟ »

« أعتقد .. الأخ ميانج قال لك إنه اليوم .. »

« ولماذا هنا بالذات ؟ .. ولماذا الآن ؟ »

« هذا هو سؤال حلقة الليلة .. الجائزة هى أن تبقى حياً حتى الصباح .. »

« وماذا سيحدث بالضبط ؟ »

« لا أدرى ... »

تقدمنى نحو الفتاة (نادين) التى احتضنت ابنها ، ولمس على شعر الصبى ، ثم قال لها وهو يشير للطابق السفلى :

« لربما كان من الأفضل أن نزل .. »

سألته فى هستيريا وهى ترتجف :

« ماذا يحدث هنا ؟ .. هل هو سطو مسلح ؟ .. هل هناك من

يريد سرقتنا ؟ »

يا لسحر الأثى التى تتوقع أن الرجل يعرف كل شىء ! .. هز رأسه أن لا .. ونظر لى نظرة ذات معنى . بالفعل أتمنى مثله لو كان الأمر كذلك .. لو وجد خطراً فى صورة عصابة من القتلة المسلحين لكان هذا رائعاً ، فالأمر لا يحمل له سوى بعض التدريب لا أكثر .. كل خطر لا يستطيع ركله هو الخطر الحقيقى بالنسبة له .. الفيروسات والإشعاع واللغات وشىء غامض اسمه (الطفيل) ..

جذبت نادين الصبى من يده الصغيرة المكتنزة ، واتجهت معه نحو الدرج الذى تزامم عليه الناس .. كان عليهما أن ينتظرا حتى لا يسحق الصغير تحت الأقدام ..

أخيراً بدأنا ننزل ..

الطابق الثاني كان شبه خال .. وقد لاحظت في رعب أن النوافذ العريضة المطلة على الشارع مغلقة بالستار المعدني .. ماذا يحدث هنا ..؟؟ لقد تم ترتيب كل شيء ليبدو المكان مغلقاً .. لماذا؟

أما الطابق الأول / الأرضي فكان عبارة عن فوضى عارمة .. هناك زحام من الناس والعاملين .. قدرت أن العدد يقترب من الثلاثين .. ليس كبيراً جداً . هناك إشعاع سايكو فيزيائي قوى في الجو يسبب الهلع والتوتر ..

— « أنت تدفعني ! »

— « أنت الذى تتحرك أكثر من اللازم .. دعك من أن هناك

نساء هنا .. »

— « ماذا تعنى يا وقح ؟ »

— « أفهم ما تفهمه .. »

— « احترم نفسك أيها الحيوان !! »

وترتفع القبضات كالعادة ، وهى من اللحظات النادرة التى يكف فيها أبناء البحر المتوسط عن الجعجة بالكلام فقط .. لكن

أحدهم يمنع التشابك .. إنه الأدرينالين أو الإشعاع السايكو فيزيائى الذى وصفه الخواجة برجسون .. اجعل واحداً فى الجماعة يضحك ولسوف يضحك الجميع .. اجعل واحداً يبدي الذعر أو التوتر ولسوف يذعر الجميع .. اجعل واحداً يتحمس ولسوف يتحمس الجميع . هذا ما يحدث عندما يهاجم الجنود موقعاً فى الحرب ...

عند الباب المغلق يقف عاملان يواصلان تحطيم الزجاج بأسطوانات إطفاء ، ثم يحاول أحدهما أن يرفع الباب الحديدى المغلق من الخارج .. لا جدوى .. يقفان فى مياه المجارى القذرة التى تسربت من الخارج ويحاولان .. صوت الارتطام يصم آذاننا ويتكرر بلا توقف . من الجنون أن تفعل هذا فى مكان مغلق ..

المشكلة أن هناك باباً حديدياً مزوداً بالقضبان .. باباً متيناً فعلاً .. وهناك فجوة اتساعها ربع متر تفصله عن الستار الحديدى بالخارج . بالتالى من الصعب تحطيم الحاجزين ، دعك من ضرب الستار الخارجى لئلا يسمعنا الناس بالخارج . تذكر أننا فى وسط المدينة وأن الشارع صاحب جداً ..

صاح أحد المتزاحمين :

— « سوف يسمع الناس بالخارج صوت الدق .. لا شك في هذا .. »

— « ليس في شارع كهذا .. »

— « سوف يتوغل الليل وسوف يسمعون صوت الدقات .. هذا مؤكد ... »

هكذا كان هناك زحام .. وكانت هناك غازات بطن لا بأس بها لأن أمعاء الكل تقلصت .. وكانت هناك دموع وهستيريا ..

لكن السؤال الذي ظل يلح علىّ هو : لماذا الآن ؟ لماذا هنا ؟

* * *

من مكان ما برز الأستاذ (رفاعي) المدير ، الذي لا أعرف إن كان مديراً إدارياً فقط أم هو مالك المكان .. له كرش ممتاز يوحي بالثقة . من السهل أن تخضع لشخصية من يملك كرشاً كهذا ..

شق الزحام وهو يأمر الناس بأن يهدعوا .. لا داعي للملقق .. سوف نخرج حالاً .. فقط أفسحوا الطريق .. ما دام مديراً فسوف ينتهي هذا كله .. مسألة منطقية . ومن خلفه كان ذلك الموظف

النحيل المنافق المذعور يركض .. كيف عرفت أنه منافق ؟ .. لأنه يبدو منافقاً ..

يقول رفاعي في قرف دون أن ينظر للموظف :

— « أين ذهب (عوني) و (محمود) ؟ .. كل واحد قد غاص تحت الأرض .. »

يقول الموظف وهو يلحق بالمدير :

— « يحاولان مع الباب الثانی يا سيدى .. باب العاملين .. »

— « المفترض أنه أسهل .. لماذا تأخرا ؟ »

— « سأرى ما هنالك .. »

وانطلق يركض باحثاً عنهما ، على حين نظر المدير للناس وصاح في امرأة تقف مستندة إلى ثلاجة كهربية :

— « لو سمحت يا مدام .. سوف تتلف بهذه الطريقة .. »

هنا صاح زوجها وقد احتقنت عروق رقبته :

— « وأين تريد لها أن تقف .. نحن مسجونون هنا وأنت

تمنعنا من الاتكاء ! .. إذن أخرجنا يا أخي .. »

- 3 -

الخبير :

فعلًا لا أفهم كيف خمنت أنهما ماتا ؟

رفعت :

شرح هذا بطول للأسف ، لكن التعبير على وجه موظفك كان واضحًا .. هذا تعبير نذير الموت لو شننا الدقة ...

الخبير :

ومن هذا الآسويى ؟ .. هل هو صديقك ؟

رفعت :

نعم .. وأرجو أن تتحفظ فيما تقول لأنه يجيد العربية... هلم
سلط الكشاف من فضلك ..

الخبير :

أعوذ بالله ! .. ما هذا !!!؟ قم يا (عوى) .. قم يا (محمود) ..

أنا الذى كدت أخصم منهما ..

فضل المدير الصمت وقد رأى أنه سيضيع صوته فى عشرات المشاجرات الفرعية.. ومضى بين الناس ينظر هنا وهناك ويصدر التعليمات للبايعين ..

بعد دقيقة ظهر الموظف المنافق ، وقد ازداد وجهه نحولاً وذعرًا وهمس بشيء فى أذن المدير ..

امتقع وجه الرجل ثم احمر قليلاً... عرفت أنه سيسأل عن طبيب.. هذا مؤكد ...

« هل من طبيب هنا ؟ »

أنا أعرف أنهما ماتا طبيعاً .. أعنى العاملين اللذين تأخرا .. لقد صرت خبيراً بهذه الأمور ، لكنى أريد فعلاً ففهم ما يحدث ... لهذا رفعت يدى كتلميذ نجيب .. أنا طبيب .. هيا بنا ..

« أريد أن ... »

يا لك من ممل !... تريد أن أفحص الجثتين .. كل هذا مفهوم يا صديقى صدقتى .. لقد مرت بهذا الموقف ألف مرة ... لماذا يعيد الناس شرح أمور مفهومة وبديهية ؟

« أعرف .. أعرف ... هيا بنا لنعرف سبب الوفاة ! »

رفعت :

أرجو أن تتراجع قليلاً .. لحظة .. من الواضح أنهما ماتا .
لا داعي للمحاولات البطولية .. لقد فرغا من الحياة تماماً وهو
مشهد لم أره فى حياتى .. رأيت ألعت حالات الجفاف والكوليرا
المتقدمة ، لكن الأمر لا يبدو كهذا .. لو شننا الدقة .. هذا جسد
تهوى من الداخل .. لم يعد فيه نسيج فوق آخر .. لا توجد
قطرة من سائل حيوي؛ دماً كان أو لمفاً أو عصاره معوية ..
لا تقترب !.. يجب التأكد من أنه ليس هناك مرض يسبب هذا ..

الموظف المنافق :

وهل هناك مرض يسبب هذا ؟

رفعت :

لا .. لكن لا بد من مرة أولى دائماً .. على قدر علمى فانتما
رأيتما هذا المشهد من قبل ..

المدبر :

ولكن كيف عرف—؟

رفعت :

أجب من فضلك !

المدبر :

نعم .. الخفير الذى يدعى مصطفى .. وجدناه خارج دورة
المياه بالطابق الثالث .. كان فى صورة كهذه ولم يعرف رجال
الشرطة السبب قط .. لكن .. لماذا تكرر الأمر ؟

رفعت :

لا أحد يملك إجابات الآن .. ومن الواضح أننا لن نحرك هذين
من هنا .. سوف تصل الشرطة ولو فى الصباح ويجب أن تراهما
كما هما .. هل لى فى ملاءتين تغطيهما بهما ؟

المدبر :

هات له ما يريد يا (ثروت)...

رفعت :

أكره أن أبدو مزعجاً بكثرة طلباتى ، لكن فهمت من كلامك أن
هناك من يجرب فتح الباب الثالث ..

المدبر :

نعم .. أعتقد أن الكهربائى (عبد الوهاب) يجرب مع إبراهيم
الخفير ..

رفعت :

قدنا لهما حالاً ...

المدير :

هل تعتقد ؟

رفعت :

لا أعتقد أى شيء .. فقط لا أريد تكرار الظروف الملائمة للموت .. هيا بنا ..

(عند الباب الثالث)

المدير :

المكان ضيق هنا .. تعال يا (عبد الوهاب) ويا (محمد) .. سوف نتخلى عن هذه المحاولة ..

عبد الوهاب :

لماذا يا سيدى ؟ .. أعتقد أننا لو واصلنا الطرق فسوف ...

(هن = تشو = كان) :

احترسا !!

رفعت :

تشبث جيداً ..!.. لا تتركه ..!

المدير :

أعوذ بالله .. ماذا يدور هنا ؟ .. سسلط المصباح جيداً يا (عبد الوهاب) !!

عبد الوهاب :

ما هذا ؟ .. شعبان يفر ؟ .. لم أر شعباناً هنا !

إبراهيم :

كيف تمكنت من القبض عليه قبل أن يخرج من الفتحة ؟ .. أنت سريع جداً .. من المؤسف أنه فر برغم ذلك ، لكنك اقتنصت قطعة من ذيله .. بينى وبينك لم أشعر أنه شعبان واحد .. كأنه عدة شعبان اتقضت وفرت ..

رفعت :

دعنى أتفحص هذا الشيء .. إنه ممص .. ممص كميمصات الأخطبوط .. وما زال ينبض ... هذا هو الشيء الذى هاجم الآخرين ..

بحثت مع (هن - تشو - كان) عن مكان منعزل نجلس فيه ، لهذا قررنا الصعود للطابق الثانى .. صاحت (نادين) فى قلق وهى تمد يدها لنا :

« (هن - تشو) ! .. إلى أين ؟ »

هز رأسه بحركة شبه عسكرية وهتف :

« لا تقلقى .. سناقش بعض الأمور مع ريفات .. »

كنت أنا أممص شفتى فى سرى ... من الجميل أنها لم تدلله بـ (هنتشوى) أو (هن هن) ... ثمة شىء مهين فى هذا الاهتمام به وفى تعامله الساذج معها . إنه كاهن متفرد لا علاقة له بهذه الأمور .. إنه أكبر منها .. لكنى أعرف أن الأنثى إذا صممت على الظفر برجل فلسوف تظفر به .. لا مفر ولا مهرب .. ولكن ماذا عندما تعرف كل شىء عنه ؟ ليس مسلماً ولا مسيحياً ولا يهودياً .. بل إنه ليس بوذياً .. إنه كاهن نافاراي يا أختاه وهو الوحيد الذى يعتنق هذه العقيدة منذ قرون .. وهو آت من التبت .. إنه شىء متفرد غريب لا مكان له فى عالمك بتاتا .. إنه زهرة زرقاء لا يمكن زرعها فى حديقك ..

إبراهيم :

هل هوجم الآخران .. متى .. وكيف ؟

رفعت :

دعنا من الشرح الآن .. فلنرحل من هنا ...

إبراهيم :

أنا رأيت نفس الثعبان يا أستاذ .. رأيت ليلة وفاة المرحوم (مصطفى) .. أقسم بالله .. قلت هذا لك يا أستاذ (رفاعى) واتهمتنى بأننى كنت أدخن شيئاً ممنوعاً .. هل صدقتنى الآن ؟

رفعت :

يا أخى فلنرحل من هنا ، ثم تجد فرصتك لتمثيل دور الفتاة المظلومة فى أفلام (فاتن حمامة) .. هيا بنا .. خذ معك هذا الممص يا (هن - تشو - كان) فقد نراه بشكل أوضح فى الخارج ...

هنا انطفأ النور فى الطابق الثانى فصحت :

« هل انقطعت الكهرباء هنا ؟ »

جاء صوت المدير العالى من أسفل :

« لا .. حسبت أنه من الأنضل أن نوفر الكهرباء ما دمنا جميعاً فى الطابق الأول .. »

يا للغباء !... نحن مهردون بالموت وهو يفكر فى التوفير للورثة . عندما أعادوا الكهرباء (جزئياً) للطوابق الثلاثة ، سعدنا فى الدرج إلى حيث الطابق الخالى تماماً ، فجلست على طرف منضدة وجلس (هن - تشو - كان) أمامى فى وضع الاحتباء يتأمل ذلك الممص الطرى البشع .

كان طوله يقترب من طول القلم .. وله نفس السمك تقريباً .. لكن ممصات صغيرة فرعية كانت متراسة على محوره بشكل يذكرك بالأخطبوط فعلاً .

قلت لـ (هن - تشو - كان) :

« للمرة الأولى أرى هذا الشيء ، لكن الغرض منه واضح .. لو رآه عالم أحياء فى أى مكان لقال إنه جزء من كائن يتطفل على الآخرين .. طفيل ... هذا جزء منه بلا شك .. »

قال (هن - تشو - كان) :

« وهذا الشيء يمارس عمله هنا .. لا نحتاج لذكاء كى نعرف أنه هو الذى هاجم الآخرين .. لكن كيف يبدو الشيء الكبير ؟ .. لا أعتقد أنه يشبه الأخطبوط .. »

ارتجفت وأنا أتخيل ما يمكن أن يكون هذا الشيء عليه .. أول صورة وثبت لذهنى هى إنسان ضخم لكن ليس له رأس .. رأسه عبارة عن كتلة من هذه الممصات ، وهو خيال ليس أصيلاً جداً لأن (لافكرافت) تخيل كائنه المرعب الشهير (كتولو Cthulu) فى هذه الصورة .. صورة كابوسية رهيبة لو أردت رأيى .. من الممكن أن يكون أقرب للزواحف أو الأخطبوط فعلاً ...

لكن صورة الإنسان الذى له رأس أخطبوط كانت تلح على .. قلت لـ (هن - تشو - كان) وأنا أحاول ألا أنظر لهذا الشيء ثانية :

« نحن الآن نعرف .. الطفيل الذى نتحدث عنه موجود هنا .. موجود فى هذا المتجر بالذات .. ومن الواضح أنه يملك قوى غير مادية .. وإلا فلا تفسير لاتغلاق الأبواب علينا وانطفاء النور . هناك أشياء لا نفهمها .. لماذا الآن بالذات ؟ »

قال (هن - تشو - كان) فى ثقة :

« إنه نداء .. نداء كالذى كان يدفعنى لدخول هذا المتجر ..
الأخ ميانج يدعونى للمواجهة .. »
وراح صدره يعلو ويهبط كأنما يسمع نداء الأجداد .. ليكن ..
إن كان هذا يريحه ..
قلت :

« ربما كان الأمر كذلك .. لكن السؤال التالى هو : لماذا
هذا المتجر بالذات ؟ .. ثمة احتمال أن يكون قائماً فوق إحدى
فتحات جانب النجوم التى تجلب المسوخ والشياطين لعالمنا ..
هذا جزء من حياتى لا تعرفه أنت .. لا أجد دليلاً على هذا ،
ولا أعرف لماذا لم يعلن جانب النجوم عن نفسه من قبل هنا ،
لكن هذا هو التفسير الوحيد حالياً .. »

قال (هن - تشو - كان) وهو يضرب قبضته بكفه :

« السؤال الثالث : وماذا يريد منا ؟ »

قلت فى شرود :

« الساعات التالية ستجيب عن هذا الجزء .. لو اعتمدنا على
ما رأيناه حتى اللحظة فهو يريد قتلنا فقط .. ليس شيئاً خطيراً .. »

« ولماذا يريد قتلنا ؟ »

نظرت له وشعرت بالمزيد من التوتر .. لو كان هذا الشيء
جديراً بلقب الطفيل ، فهو يكبر فى الحجم ويزداد قوة مع كل
ضحية جديدة .. إنه يستمد طاقتها وحيويتها ...
معنى هذا أنه لو انتهى من أمرنا فلسوف يكون كارثة
حقيقية ...

السؤال الأخير وجهته أنا :

« هل تعرف ما سنفعله ؟ .. هل لديك سياسة ما ؟ »

قال وهو ينهض :

« الشيء الوحيد الذى أقترح عمله أنا هو حرق هذا
الممص .. ربما كان حياً .. بل ربما كان قابلاً لأن يؤذى أو يعيد
تكوين كائن جديد .. »

هذا الفتى عبقرى برغم أنه لم ير فيلم رعب فى حياته ..

سوف نحرقه ، لكن لنفعل ذلك فى مكان خال وبعلم العاملين
هنا... نحتاج إلى بعض الكيوسين كذلك ..

بدا الممص بريئاً جداً وهو يحترق .. توقعت كما فى أفلام
الرعب أن ينفض أو يخرج منه شيء مريع يقتلنا .. لكنه
تصرف كقطعة لحم مسالمة ..

كنا هناك فى دورة مياه بالطابق الثالث ، وقد قام (إبراهيم)
الخفير بإغراقه بالكيروسين ثم ألقى عليه عود ثقاب . لابد أنه
شعر بالحنين لأنه تذكر حرق الثعابين فى الحقل فى قريتهم ..

وقفنا فى الظلام نرقب اللهب المتراقص .. وفى ذهن كل منا
خواتره السوداء عما يدور . التفت المدير إلى الكهربائى وسأله
بصوت عصبى منهك :

— « هل استطعت إصلاح شيء ؟ .. الكهرباء ... كابلات
الهاتف .. أى شيء ؟ »

قال الكهربائى بنوع من الفخر :

— « لا يا سيدى .. مواضع التلف داخل الجدران .. التآكل فى
الخرابيم المدفونة ذاتها .. لا يمكن عمل ذلك الآن .. »

ابتلع المدير غضبه .. لو انفجر مع كل شيء مستفز لأصيب
بالفالج الآن .. عليه أن يكون بارداً ويهدأ ..

كنا واقفين هناك وقد أصبنا بنوع من القصور الذاتى .. نقف
فنظل كذلك للأبد .. نتحرك فنظل كذلك للأبد .. يبدو أن نيوتن
عبقرى فعلاً ..

هنا ظهرت (نادين) تركز قادمة من الطابق السفلى ..

الذعر مع جهد الصعود جعلها تحتاج إلى خمس دقائق كي
تتمالك أنفاسها ، وفى النهاية قالت وهى موشكة على البكاء :

— « (هن - تشو) .. زوجى السابق .. مروان ! .. إنه هنا ! »

- 5 -

(هن - تشو - كان) :

هل تعنين ذلك الرجل ؟ .. الرجل السيئ ؟

نادين :

نعم .. نعم .. إنه هنا ..

الهدير :

هلا شرحت لى ما يدور هنا ؟ .. أى رجل ؟

رفعت :

هذا موضوع آخر .. تعالى يا مدام لنتكلم فى مكان آخر ..

(يبتعد بها)

(هن - تشو - كان) :

أين هو ؟

نادين :

كان فى الطابق السفلى وسط الزحام وقد كنت أبحث عن أشرف فرأيتة يقف هناك خلف ثلاجة كبيرة .. درت حولها فرأيت

أباه يجلس على ركبتيه أمامه ويكلمه . أطلقت صيحة رعب
برغمى فسمعتنى .. نهض مسرعاً وتوارى على حين لحق بى
أشرف .. طبعاً لم أستطع فهم أى شىء منه سوى (بابا) ..
سألته عما قاله مروان فلم يزد على : سألنى عنك !

رفعت :

وأين أشرف الآن ؟

نادين :

فى الطابق السفلى مع زميلة لى .. أنا متأكدة من أنه فى أمان ..

رفعت :

وأين مروان هذا ؟

نادين :

لا أعرف .. لم أحاول البحث أكثر ..

رفعت :

تعالى إذن ننزل ونبحث عنه .. إن الأمور معقدة بما يكفى فلا
نحتاج إلى غيبى يريد الانتقام كذلك .. حسبت أن الشرطة قبضت
عليه أو شيئاً من هذا القبيل ... لابد أنهم اكتفوا بحراير محضر

عدم تعرض له وأطلقوا سراحه ، كأن من يهدد بالسكين حريص على ألا يخرق تعهداته القانونية .. لم أفهم هذا المنطق يوماً .
ليس بعد الكفر ذنب ، وليس بعد التهديد بسكين جريمة ..

نادين :

هذا صحيح للأسف .. تعال ننزل ..

(هن = تشو = كان) :

لو وجدناه .. سوف أضربه ..

رفعت :

بالطبع .. هذا أقل ما يجب .. لا إذار بالسراياتا ولا هذا الكلام الفارغ .. الرجل بطة ميتة فعلاً لا يفصله عن الموت سوى لفاك ..

(الطابق السفلى المزدهم)

رفعت :

فلننتشر ونبحث عنه ، فهو لن يقف ينتظرنا كالبلهاء .. أقترح أن تكوني أنت مع (هن = تشو = كان) فانا لا أريد مفاجآت .. أما أنا فسأعتمد على الحدس لأننى لم أره من قبل . رهاتى هو أن الأزواج السابقين الذين اسمهم (مروان) يبدون كذلك ..

(هن = تشو = كان) :

لن يهاجمها وسط هذا الزحام ..

رفعت :

يا سلام !.. لقد برهن على أنه مجنون من قبل .. هو يريد أن يخرج براكين غضبه بأى شكل وليكن ما يكون بعدها ، حتى لو سحقوه بالأحذية .. إذن الانقضااض عليها وغرس السكين فى عنقها لن يستغرق سوى ربع ثانية.. عندما يدرك الناس ما حدث فعلاً تكون هى قد قالت : وداعاً .. اعتنوا بابنى .. ثم تموت ..

(بعد دقائق)

(هن = تشو = كان) :

هل وجدت شيئاً ؟

رفعت :

لا .. لم أجد شخصاً واحداً يمكن أن يكون زوجاً سابقاً اسمه (مروان) ، دعك من أن يكون قلبه جريحاً.. وواضح أنك لم تجد ..

(هن = تشو = كان) :

سوف أفتش الطوابق العليا ..

رفعت :

ما دمننا بصدد الكلام الغريب .. لقد فكرنا في أن يكون هذا
الطفيل شبيهاً بأخطبوط عملاق أو رجل له رأس ذات مصاصات ..
هذه احتمالات مرعبة .. لكن هناك احتمالاً أكثر بشاعة ..

(هن - نشو - كان) :

وما هو ؟

رفعت :

أن يكون واحدًا منا .. أن يبدو مثلي ومثلك ، ويخلى حقيقته
المرعبة تحت ثيابه .. ألم تفكر في هذا ؟

رفعت :

هناك عشرات المخابئ هنا .. أعتقد أننا لن نجده .. لربما كان
الأحكم أن تظل قرب الفتاة .. على كل حال لن يتعبنا هذا الفتى
كثيراً لأنه سيكون الضحية التالية ..

(هن - نشو - كان) :

من قال لك هذا ؟

رفعت :

هذه هي قواعد قصص الرعب وأفلامه .. لقد ولد خاسراً وهو
قابل للاستغناء عنه وشريد .. سوف يتوارى في مكان خطر
فينفرد به هذا الطفيل وتكون عدالة شعرية لا بأس بها ...
للأسف لا يحدث في الحياة ما يحدث في قصص الرعب بالضبط ،
لكنى أرى هذا السيناريو وارداً ..

(هن - نشو - كان) :

من جدك تعلم كلاماً غريباً يا ريفات ..

- 6 -

أن يكون ذلك الشيء المخيف واحداً منا ويبدو مثلنا بالضبط .
احتمال مرعب لكنه وارد ..

أنا بحاجة إلى الانفراد بنفسى لتقييم الموقف .. أريد لحظة هدوء واحدة أمسك فيها بورقة وقلم وأكتب المعطيات ، وهو ما أقوم به بنجاح فى فراشى فى كل مرة ، لكن المشكلة هنا أننى لا أصير وحدى أبداً .. هناك دائماً شيء يحدث .. الحق فى الانفراد حق بشرى مهم جداً لكن لا يظفر به سوى نزلاء السجن الانفرادى أو الموتى فى قبورهم على ما يبدو .

لاهنا سعدت إلى الطابق الرابع وكان الظلام يعم المكان باستثناء مصابيح قليلة مضاءة . تنعكس الأضواء الخافتة على دراجات الأطفال والدمى الموضوعة على الأرفف ، فتلتصع عيونها الزجاجية المخيفة .. الموت والحياة معاً فى وجه واحد يضحك بقسوة .. لهذا أخاف الدمى منذ صغرى ..

جلست على الدرج ورحت أفكر فى عمق ...

فجأة خيل لى أن هناك شيئاً يتحرك فى ركن المكان .. عند ذلك الدرج الذى يستعمله العاملون ، وهو كذلك المكان الذى يحتفظون فيه بأسطوانات الإطفاء وخرطوم الحريق ..

أجفلت للحظة ثم فطنت إلى أنه كائن بشرى أطل بجسده ثم عاد إلى الداخل ..

« من هناك ؟ »

ناديت بصوت أثار رعبى أنا نفسى فلم يرد أحد ..

نهضت لأتبين من يتحرك ، لكن التوتر مع الهبوط من فرط النهوض السريع جعل قلبى يتوثب كأنه جناح طائر طنان .. ماذا يحدث ؟

الدوار .. الدوار .. تمسكت بالترابزين كى لا أسقط من حالى ، ثم ألقىت بجسدى على الأرض . إننى موشك على فقدان الوعي أو الإصابة بنوبة قلبية .. هناك سائل كريبه الرائحة سقطت فيه ..

فجأة اتسعت البقعة السوداء أمام عيني ..

قلبى ضعيف جداً وتلك هى المشكلة .. كان (هنتر) الطبيب البريطانى العظيم يقول إن قلبه ضعيف ، وحياته تحت رحمة أى أحمق يستفزه .. من الغريب أنه مات فعلاً فى مناقشة طبية حامية . أنا حياتى تحت رحمة أى أحمق يثير هلعى فجأة أو يرغمنى على بذل جهد زائد ..

البقعة تتسع ...

إننى أغوووووووووووووص...

أشعر به .. يمكنك أن تشعر به معى ..

إنه يتحسنى فى نهم .. له ملمس كرية رطب بعض الشيء ..

كان أحدهم وضع ضفدعاً مبتلاً هناك ..

أشعر به على ساقى .. يتلمس بطنى .. أشم رائحته الكريهة ..

تلك الرائحة !!! أعرفها ..

لا جدوى من الفرار يا (رفعت) .. أنت فاقد الوعي تقريباً ..

لن يسمع أحد صراخك لو صرخت ، لكن هل أنت قادر على

الصراخ فعلاً ؟

كنت أحمق حينما انفردت بنفسك .. أحمق عندما ابتعدت عن

(هن - تشو - كان) ، وإن كنت أرغب فى أن أرى كيف كان

سيصرف ..

لا أستطيع فتح عيني .. من حقى معرفة ذلك الشيء الذى

قتلنى .. كيف يبدو ؟ .. لكنى بالفعل لا أقدر .. وأدرك أنه

يتحسس وجهى الآن ..

إذن أنت الطفيل ...؟... مع كل الأشياء والأهوال التى رأيتها
فى حياتى لم يخطر ببالى أن يقتلنى كانن يحمل هذا الاسم ،
والأسوأ أننى لا أعرف كيف يبدو ..

عندما فتحت عيني كان هناك اثنان يحملاننى فى غير رفق .
واحد يمسك بقدمى وواحد يمسك بذراعى .. كأننى زكبية قمامة
ينويان التخلص منها .. حتى إننى رحمت أتساءل فى قلق عن
لحظة يقولان : هيلا هوب ! .. ثم يلقيان بى ..

وسمعت من يقول :

« أنت بخير .. لقد فقدت وعيك .. قدر ولطف .. »

كنت أرى كل شيء مقلوباً وكشافات النيون تتحرك فى السقف
كانها أطباق طائرة فى عالم غريب ، ثم سمعت (هن - تشو -
كان) يقول وهو يمسك بيدي :

« ريفات .. ماذا حدث ؟ »

يبدو أننى الآن كنت راقداً على فراش بالطابق الثانى .. فراش
جديد مغلف بالمشمع وتفوح منه رائحة الخشب الطازج ، هناك

بطاقة تحدد السعر ملصقة قرب رأسى .. كأن هذا سعري أنا .
وكان هناك من يرش وجهى بالماء ..

قلت وأنا أحاول النهوض :

« هل رأيته يا (هن - تشو - كان) ..؟ الشيء كان
يهاجمنى .. »

« كنت فاقد الوعي أعلى الدرج .. وجدك أشرف ابن نادين ..
أصابه الرعب وجرى ينادى أمه .. سألته عن سبب ذعره فقال
كلمة واحدة هي (عمو) .. »

« إذن لم يكن شيء يهاجمنى ؟ »

« بالتأكيد لا .. »

لكنى كنت أعرف يقيناً أن ما شعرت به حدث حرفياً .. لماذا لم
أمت..؟ ثمة احتمال لا بأس به أن يكون الشيء قد أصيب
بالرعب لدى ظهور الطفل فانصرف .. نظرية ضعيفة لأنه بوسعه
بالتأكيد أن يظفر بنا معاً . الاحتمال الآخر هو أنه تحسنى فقدر
أننى أموت .. لا توجد دورة دموية تقريباً والنبض واهن
والوعي غائب .. هكذا وجد أنه لن يحقق شيئاً لو امتص طاقتى ..
لن تضيف له شيئاً أو لعلها تضعفه .. باختصار : لقد تفحص
الموت جسدى ثم انصرف مشمئزاً !

جلست مترنخاً ونظرت إلى منقذى فرأيت وجهين لم أرهما من
قبل .. إتهما من العاملين فى المتجر بالتأكيد ..

« هل تقدر على النهوض ؟ »

« أعتقد ذلك .. شكراً لكما .. »

انصرفا فاستدرت إلى (هن - تشو - كان) وقد تذكرت
شيئاً :

« لماذا صعد الصبى وحده إلى الطابق الرابع شبه المظلم ؟
نصف الموجودين البالغين هنا لا يملكون هذه الشجاعة .. »

قال (هن - تشو - كان) وهو يساعدى على النهوض :

« هذا طبيعى .. كان يبحث عن أمه .. »

« وأين أمه ؟ »

« لا أعرف .. لقد صعدت إلى الطابق الثالث معه .. ثم

اختفت فجأة .. »

قلت فى غيظ :

« يا لك من أحمق .. قلت لك ألا تتركها تغيب عن نظرك .. »

— « قالت إنها ترغب فى دخول الحمام . الحمام فى الطابق الثالث نظيف حسب كلامها .. »

— « إذن أرجو أن تتركنى وشائى واذهب للبحث عنها .. لا تنس أن هناك مخبئاً يلاحقها .. »

تركنى (هن - تشو - كان) واندفع بخطواته الرشيقية السريعة إلى الطابق الثالث . هنا رأيت ذلك الطفل أشرف يقف على مسافة منى وهو مذعور .. طفل فى الثالثة لا يجد أمه من أبسط حقوقه أن يجن رعباً ..

تعال يا بنى وأمسك بيدي .. لا تتركها .. سوف نبحت عن أمك معاً ..

لكننى أنسى أن شكلى يخيف الأطفال .. هكذا راح ينظر لى فى ثياب وشفته السفلى ترتجف بتلك الطريقة الكهربية الاستاتيكية المنذرة بهطول المطر .. ثم انفجر فى البكاء ..

مددت يدي نحوه .. هنا أطلق ساقيه للريح هارباً ..

هنا ألف خزانة ثياب وألف فراش وألف صالون فى هذا الطابق .. من المستحيل أن ألاحقه وسط هذه الفوضى .. دعك من أن الإضاءة ليست على ما يرام .. جميل جداً .. سوف نجد الأم لنكتشف أننا فقدنا الطفل .. هكذا الحياة لو أردت أن تلخصها ..

مشيت مترنحاً وسط الظلال وصممت على أن أترك الأمور كما هى . من الصعب أن ألاحظ كل إنسان فى هذا المتجر .. أنا دنوت من الموت كثيراً وعدت . هذا كاف ..

دعك من أننى وحيد الآن فى هذا الطابق ، ولا أشتهى أن أكرر هذه التجربة ثانية ..

هكذا اتجهت إلى الدرج عازماً على الصعود إلى الطابق الثالث .. أعتقد إن لم تخننى الذاكرة أن المدير المدعو (رفاعى) هناك مع من كانوا يحرقون ذلك الممص .. أعتقد أنهم لم يرحلوا .. ربما يكون (هن - تشو - كان) هناك ونادين كذلك إن لم يكونا نزلا دون أن أراهما ..

رحت أصعد فى الدرج بقدمين كالعجين متمسكاً بالترابزين وأنا أنظر لأعلى .. كان هذا المكان يعج بالحياة منذ ساعات وكانت هنا (نادين) وعشرات البائعات ..

الآن هو مكان مظلم تقريباً خال من البشر ..

أين رفاعى ومن معه ؟ ..

اتجهت إلى المكان الذى قمنا فيه بحرق الممص .. الحمام التنظيف الذى لا بد أن نادين تستعمله الآن أو استعملته ..

لم أستغرق وقتاً طويلاً حتى أفهم كنه هذا الشيء الذى يسد مدخل الحمام . هذه الكومة من الثياب ..

لم يعد هناك كرش ضخم .. ولم تعد هناك ثقة زائدة بالنفس ..

إنه المدير يرفد هناك وهو يحملق فى السقف . انحنيت لأتفحص جنته لكن هذا كان تضييع وقت .. جثة فارغة امتص منها كل شيء كما حدث مع آخرين .. الخدان غائران والعينان غائستان كألغن حالة جفاف رأيتها فى حياتى . الجلد جاف تماماً مجعد والبطن مقعرة ..

فتحت ياقة قميصه ، وشمرت سرواله وكميه بحثاً عن شيء .. بالفعل .. هناك آثار غريبة كأنها جروح مستديرة .. كأنها ممصات تم غرسها هناك إلى أن تتم عملية الامتصاص ، وأنا أعرف كيف تتصرف هذه الممصات وكيف تؤدى عملها ..

كان معه إبراهيم الخفير والكهربائى فأين هما ؟

نهضت من مكاتى ورحت أفتش وراء مناضد البيع .. هنا كميات هائلة من الثياب الأثوية ، لكن لا جثث ..

لحظة ..

هناك كومة على الأرض وأعتقد أنها .. لا . ليست جثة .. هى كومة ثياب فعلاً ..

جثوث على ركبتى وفحصتها بعناية ..

جلباب .. كلسون داخلى مما يلبسه الفلاحون .. صديرى ..

هذه ثياب الخفير إبراهيم ..

لكن لماذا نزعها وألقاها هنا ؟... لو كان الشيء قد ظفر به فأننا لم أسمع أنه يجرد الضحايا من الثياب .. وأين الجثة ؟
وأين بندقيته ؟

هنا سمعت صوت خطوات

- 7 -

رفعت :

(هن - تشو - كان) ..! كنت أتمنى أن تكون أثقل حركة .
إن حركاتك الخفيفة هذه لا تناسب أعصابى ..

(هن - تشو - كان) :

آسف يا ريفات .. لقد وجدت نادين ...

رفعت :

الحمد لله .. خير طبيب فى هذا اليوم العجيب ..

نادين :

لقد كنت أموت ذعرا .. أنت رأيت الجثة .. لقد مات الأستاذ
رفاعى ومنظر جثته لا أستطيع الوصف .. هل رأيته ؟؟ هه ؟؟
هل رأيته ؟؟ من الذى جرؤ على عمل هذا ؟

رفعت :

أنت تخلطين بين حالة الجثة البشعة وبين كونه المدير ..
حسب كلامك من حق القاتل تشويه الجثة إذا لم تكن المدير ..

نادين :

لا أقصد ذلك .. بل أقصد .. لا أعرف كيف أعبّر .. رياه !

رفعت :

أفهم .. كان المدير يبدو خالداً أقوى من الموت ذاته ، وكأنه سوف
يدفنا جميعاً . يبدو الأمر غريباً لك . المهم .. هل وجدت أحداً بقربه ،
وللمزيد من الدقة... هل خيل لك أنك رأيت شيئاً زاحفاً يبتعد ؟

نادين :

لا .. لا شىء من هذا القبيل .. كنت على وشك دخول الحمام
هنا وجدت جثته . كدت أتعرّض فيها ..

رفعت :

هل من أثر لذلك الخفير الذى نسيت اسمه .. (إبراهيم) ..؟
ألم تقابليه ؟

نادين :

بلى .. قابلته منذ دقائق .. كان يهبط فى الدرج مسرعاً .. لم
يلتفت لنا .. حتى أنه لم يترك لى فرصة لأخبره بموت المدير ..
قدرت أنه رأى الجثة ومذعور ..

(هن - تشو - كان) :

وكان يلبس ثيابًا غريبة .. لم يكن يلبس زيكم الوطني هذا ..
الجلباب .. كان يلبس ثيابًا غريبة .. وفي يده البندقية ..

رفعت :

لم يتخل عن البندقية طبعًا فهي عهدة .. وبالطبع كان هناك
شيء غريب فيه .. هل لاحظت هذا يا نادين ؟ .. النساء يلاحظن
هذه الأشياء بينما الرجال حمقى كالعادة .. هل لاحظت شيئًا
غريبًا ؟

نادين :

لاحظت ماذا ؟ .. لا أدري .. بدا لي أكثر بدانة .. ربما أضخم
مما أعرفه .. أعتقد أن لخداع البصر دورًا هنا ..

(هن - تشو - كان) :

ماذا تريد قوله يا ريفات ؟ .. أنت تلمح إلى أنه آخر واحد كان
مع المدير .. هه ؟ ..

رفعت :

الآن لماذا غير ثيابه ؟ .. ومن أين جاء بهذه الثياب الجديدة ؟

(هن - تشو - كان) :

من جديد تحاول قول إن حجمه ازداد .. صارت الثياب ضيقة .. إن
فكرة أن الطفيل يبدو مثلنا لا تفارق خيالك .. أجد الأمر غريبًا أن
يكون الرجل قد امتص الحياة من المدير فتضخم وصارت ثيابه
ضيقة .. سرى ثيابًا أخرى أوسع واتطلق يبحث عن ضحية أخرى ..

رفعت :

لا تنكر أنه ليس منطقيًا سينأ .. قلنا إن الطفيل يزداد حجمًا مع
كل قتل . المنطق يقول هذا ..

(هن - تشو - كان) :

لا تنس أنه حضر حالة قتل ، وكان من الممكن أن يموت هو
الآخر ...

رفعت :

ما نعرفه عن القصة هو كلامة .. ما قصه علينا .. من أدراك
أنه لم يقتل زميله ثم قام بتأليف القصة التي حكاها ؟

(هن - تشو - كان) :

هل تعتقد أنه أصيب بعدوى ما ؟

رفعت :

ربما .. وبهذا نكون في استطراد لفيلم (غزو خاطفي الأجساد) ... عقدة البارانتويا حيث لا يمكنك أن تثق بأخيك أو أمك .. ولربما هو كذلك منذ البداية .. أعتقد أن علينا أن نعرف أين هو بالضبط .. وقد أكون واهماً ..

نادين :

لا أفهم ما تتكلمون عنه .. فعلاً لا أفهم .. لكن السؤال المهم بالنسبة لى هو أين أشرف ؟ .. فليذهب إبراهيم إلى حيث ألفت ..

رفعت :

هذا صحيح .. لقد فر أشرف منى .. لا تطالبينى بالحاق بطفل صغير بحالتى هذه .. أعتقد أن علينا البحث فى الطابق الثانى .. هناك ثلاثة من المختفين إذن .. الطفل .. والده .. إبراهيم ..

(هن - تشو - كان) :

هل ترى أن ننقسم إلى مجموعات ؟

رفعت :

لا . بل إلى مجموعتين فقط .. تذكر ألا تفارق نادين لحظة .. لا تنس كذلك أننى لا أعرف شكل الزوج السابق مروان ولو اصطدمت به لما عرفت ذلك ..

نادين :

لم لا نطلب من المتجمعين فى الطابق السفلى البحث معنا ؟

رفعت :

المشكلة هى أننى لا أعرف بمن أثق .. أخشى أن أكون مخطئاً .. سوف نعتمد على أنفسنا .. وجودهم بالطابق السفلى معاً يطمئننى أن أحداً لن يجد نفسه وحيداً أو ينفرد بالآخر ..

نادين :

وجثة المدير ؟

رفعت :

المكان بدأ يعج بالجنث .. فلنترك كل شىء كما هو .. فقط سوف نغطيه بملاءة كالعادة ...

(هن - تشو - كان) :

الآن أنت تعرفين ما أعرفه عن القصة ...

نادين :

كل هذا عسير على التصديق .. إنها هائل ولا شك فى ذلك ..

(هن = نشو = كان) :

هذه الهلوس تقتل .. أعتقد أنها خطيرة حتى لو كانت مجرد
هلوس كما تقولين ..

ناديين :

وأنت .. من أنت ؟

(هن = نشو = كان) :

سؤال غريب طبعاً .. قلت لك إننى رجل أعمال صينى يجيد
الكونج فو واللغة العربية ... ريفات صديق قديم لا أكثر .. وهو
من يعتقد بوجود طفيل مخيف فى هذا المتجر .

ناديين :

أعرف هذا كله ولا أصدق حرفاً .. حاسة المرأة لا تكذب ..
إنها ماهرة كالتصال وحاستى تقول لى إن قصتك ليست ما تقول ..
ربما هى غير ذلك .. ربما هى أكبر من ذلك .. أحياناً أشعر أنك
من عالم آخر ..

(هن = نشو = كان) :

بالفعل أنا من عالم آخر .. أنا صينى ..

ناديين :

ليس هذا ما أعنيه .. أنت تعرف ما

(هن = نشو = كان) :

دعينا من هذا الكلام الذى لا نهاية له ، ولنواصل البحث ..
لا يبدو أن ريفات أحرز أى نجاح .. على كل حال هو لا يجد
شيئاً أبداً عندما يبحث عنه ... إنه ليس أحق لكنه بالتأكيد
يتصرف مثلهم ..

ناديين :

لست قلقة .. أشرف يتوارى كثيراً فى مخابى المتجر عندما
يكون معى ، ويظهر قبل أن ألقى .. يعتبرها نوعاً من لعبة
المسافة ..

(هن = نشو = كان) :

ليس عندما يكون هناك كائن مرعب يهاجم الناس .. أنا قلق
فى الواقع .. إن هذا المتجر أربعة طوابق لكننى أشعر بأننا نفتش
كهفاً واسعاً .. هناك أركان كثيرة .. مخارج طوارئ .. دورات
مياه .. والكثير من الظلال . كل بقعة ظل هى بالنسبة لى كهف
يتوارى فيه شيء ...

نادين :

لحظة .. هل رأيت هذا ؟

(هن - تشو - كان) :

ماذا هنالك ؟

نادين :

لقد وجدته مروان !.. وجدته !..

(هن - تشو - كان) :

عم تتحدثين ؟

نادين :

إن غرفة المحاسب مفتوحة .. هل تراها ؟ .. لقد أطل مروان من بابها للحظة وكان أشرف معه .. كان يحمله على كتفه ، وعندما التقت عيناتنا ضحك في تشف وتوارى بالداخل .. إنه ينوى أن يهددنى به !

(هن - تشو - كان) :

لن يفعل هذا .. إنه ابنه ...

نادين :

وهو كذلك مجنون .. المجانين يمزقون سواعدهم بالموسى ، ولربما آذوا أطفالهم ..

(هن - تشو - كان) :

سوف ألحق به .. أكره التلاميذ الذين يحتاجون لسماع الدرس عدة مرات ..

نادين :

لا !.. لا تفعل .. قد يكون أسرع منك .. قد يؤذى ابنى ..

(هن - تشو - كان) :

ليس هناك كائن حى أسرع منى على ما أعتقد ... انتظرى هنا وسوف أنهى الأمر ...

- 8 -

عندما تغرب الشمس وتلطخ دماؤها ثوب المساء الأزرق ..
عندئذ يبدأ فجر النافاراي ..

* * *

التقاليد هي عماد التحضر .. لقد دنا (هن - تشو - كان)
من الباب الموارب في حذر ، ونظر حوله ..

كان يزحف كالفهد المتأهب للوثب ، وأدرك أنه لن يكون هناك
وقت لطفوس الساراياتا لأنها ستعطى الخصم وقتاً كي يؤذى
الصبي . لذا وقف بجانب الباب وأداها همساً ولنفسه .. هكذا
سوف يكون ظهوره الأول هو الهجوم ... هذا نوع من الغش
تبرره الظروف كما ترى ..

اتخذ وضعاً قتالياً ممتازاً من أوضاع الساراياتا ، وهو وضع
يتيح له أن يثب ثم يقف على قاعدة عريضة تحفظ توازنه ...

هنا فوجئ بالشيء الصغير يندفع من الغرفة صارخاً باكياً ،
فيمر به ولا يلتفت .. ثم يواصل الركض إلى حيث كانت نادين
واقفة لا تفهم ما يحدث ، فارتدى في حضنها باكياً وهو يردد :

« بابا !! »

جميل جداً .. لقد صار الزوج المطعون في حبه وحيداً .. ليكون
مسلحاً أو غير مسلح .. لقد انتهى أمره إذن ... كان سيتعب الكاهن
الأخير قليلاً .. لكنه الآن لن يتعبه على الإطلاق . سوف يعامل
معاملة الذبابة ، فيما عدا أن الذبابة لا تحدث كل هذا الضرر ..

وهكذا وثب (هن - تشو - كان) إلى داخل الحجرة واتخذ
وضع التوازن إياه ، ثم توقف ..

كان المشهد الذي رآه كافيًا جداً كي يتوقف ..

بلل شفته السفلى بلسانه .. يا للحر ! .. الحرارة تتصاعد إلى
رأسه . هكذا نزع سترته ليصير بالقميص والبنطال وانتزع ربطة
العنق الكريهة ، وتحسس بطنه ليتأكد من أن كتاب الشوكارا
ما زال هناك ، ثم خرج من الغرفة ..

هناك كان الصبي الباكي يحكى لأمه :

« لقد وثب عليه شيء مخيف ! كان يصرخ .. سقط على
الأرض وهو يصرخ .. »

نظرت (نادين) إلى (هن - تشو - كان) نظرة متسائلة ،
فأرت التعبير على وجهه .. الرسالة واضحة ومفهومة ..

وقف جوارها فهمست له وهى تعبت بشعر الصبى فى
عصبية :

— « هل هو ؟ »

— « نعم .. مثلهم جميعاً .. ملقى جوار المكتب ومنظر الجثة
لا يسعد الناظرين .. »

— « بهذه السرعة ؟ »

— « لو أن الصبى استطاع أن يشرح لنا من أين جاء الخطر
لفهمنا أكثر .. هناك نافذة بالغرفة لكنها مغلقة ويبدو أنها لم
تفتح منذ دهور .. »

هنا بدأت الدموع تحتشد فى عينيها ثم تصب فى أنفها .. بدأت
تهتز وتبكي بينما (هن — تشو — كان) ينظر لها فى دهشة .
يبدو أنها قررت أن تمارس انفعالات الأرملة فجأة .. أحياناً تبدو
رقة النساء بلاهة بالنسبة للرجال .. هذا الذى مات بالداخل
عدوها وكاد يفتك بها من قبل . لكنها لم تكن تبكي زوجها بالذات ..
كانت تبكى قسوة الحياة ذاتها وحقيقة أننا نموت .. كنت تبكى
حزمة كاملة من الذكريات .. تبكى نادين الأخرى القديمة التى لن
تعود للأبد ..

عندما هدأت قليلاً وتمخضت كثيراً بدأت تثوب لرشدها وتتذكر
أن من مات طليقها وليس زوجها . لهذا اتسعت عيناها رعباً
وقالت :

— « إن شيئاً لم يخرج من الغرفة .. هل فهمت ؟ .. الخطر
ما زال بالداخل ... »

— « لا يوجد شئ بالداخل .. »

ثم تذكر شيئاً ، فأضاف :

— « ما لم يكن الطفيل قد تسرب إلى داخل الجثة . من الوارد
أن يتوارى عن العيون عبر فتحات الجسد .. »

ثم اتحنى على الصغير وركع على ركبة واحدة وقال له بلهجة
إغراء :

— « أشرف .. هل تعرف ذلك الشئ الذى هاجم أباك .. من
أين جاء ؟ »

ازداد الصبى رجة والتصق بأمه أكثر .. نظرة عينه كانت
توحى بغباء مطلق مع هلع هستيرى لا يمكن السيطرة عليه ..
وكان كل ما قاله :

« أبى .. الشئ !! .. الشئ !! »

كان هذا هو الوقت الذى وصلت فيه لأجد هذا الحفل .. كان المكان شبه مظلم ، لكن مكتب المحاسب كان مفتوحاً .. وفى الخارج وقف (هن - تشو - كان) متوتراً متحمساً ، ونادين باكية تحتضن ابنها وتلثمه .. أشار لى (هن - تشو - كان) إشارة ذات معنى إلى الباب فهرعت هناك لأجد جثة رجل له ملامح زوج سابق مطعون فى حبه اسمه (مروان) ..

لن أكف عن أن أكون عبثياً .. قلت بالحرف من قبل : « لقد ولد خاسراً وهو قابل للاستغناء عنه وشريير .. سوف يتوارى فى مكان خطر فينفرد به هذا الطفيل وتكون عدالة شعيرة لا بأس بها ... »

كانت الجثة ملقاة جوار المكتب .. الأرض مبللة بسائل ما كربه الرائحة اعتقد أنه من إفرازات الجسد ضمن ما تم امتصاصه ..

بالفعل كان الرجل ينتوى عمل مأساة ، لأننى تحسست جيبيه فوجدت شينين .. زجاجة من حمض الكبريتيك المركز أو ماء النار .. خمنت هذا من شكل السائل ورائحة السدادة ، وخنجرًا حادًا يذكرك بالخناجر التى تراها فى السينما ..

كان قد خلا من الحياة تمامًا .. خلا من عصارته الحيوية .. لكن أين ذهب العدو ؟ .. يقول (هن - تشو - كان) إن أحدًا أو شيئًا لم يغادر الغرفة ، وأنا لا أصدقُه .. لا أثق بشهادة العيان التى يدلى بها شخص غير مستقر عاطفيًا .. هنا لا توجد نوافذ تسمح بخروج الطفيل ، دعك من أننى لا أبتلع فكرة أن يكون توارى فى جسد ضحيته .. فكرة سخيفة ..

دسست ما وجدته فى جيبي عالمًا أننى على الأرجح سأستفيد من هذين السلاحين أكثر مما سيفيد منهما رجال الشرطة .

الحقيقة أننى بدأت أرجح أننا لن نرى رجال الشرطة . سوف يظهرون ولكن بعد انتهاء فصول المسرحية ..

قمت بتغطية وجه الجثة المرعب بسترة (هن - تشو - كان) التى كانت هناك .

المشكلة هى أننا فعلاً لا نعرف شكل عدونا ولا خصائصه .. شئ يهجم بهذه السهولة ويتوارى بسهولة .. يعطى انطباع أنه شعبان ويعطى انطباع أنه أخطبوط ، كما يوجد احتمال لا بأس به أنه (إبراهيم) ...

رباه !.. ما هذا الظلام ؟ .. أريد بصيصًا من الحقيقة .. أريد أن أفهم ..

ثم سمعت الضوضاء من الخارج ..

خرجت مسرعاً لأرى (إبراهيم) الخفير هو نفسه .. كان يقف هناك فى الممر قرب الخزانة ، وهو يصوب بندقيته الحكومية نحو .. نحو (هن - تشو - كان) والفتاة والصبي طبعاً ..

بالفعل كان إبراهيم يلبس ثياباً عصرية ولا أعرف هل هو الخيال أم لا لكنه بدا لى ضخماً .. أضخم مما عرفته من قبل .. كانت يده ترتجف ومعها ترتجف الفوهة ، وهو يصيح بلهجته الريفية :

« لا تتحرك! .. سوف أطلق الرصاص فى المليون ! »

قال (هن - تشو - كان) وهو ينظر للبندقية ويبتسم بثقة :

« ابتعد أنت يا ريفات .. أؤكد لك أنه سيطلقها .. أعرف

لحظات فقدان الأعصاب جيداً .. »

صحت أنا بسرعة قبل أن يتهور الخفير :

« ماذا هنالك ؟ »

قال الخفير وهو لا يرفع عينيه عن (هن - تشو - كان) :

« هذا الرجل الصينى يريد أن يحبسنى .. يتهمنى بقتل الأستاذ رفاعى ، لكنى أنا أتهمه بفتح غرفة المحاسب للسطو على ما فيها .. أتهمه كذلك بقتل الأستاذ رفاعى .. ماذا تفعلون هنا بينما الجميع فى الطابق السفلى ؟ »

قلت له وأنا أخشى أن يجن فجأة :

« دع هذه البندقية .. أنت ترى أننا غير مسلحين . كف عن الجنون ولا تزد الأمور سوءاً .. »

« لا .. »

« يمكنك أن تقتلنا ، لكنى أريد أولاً فهم لماذا بدلت ثيابك ؟ »

أغرب سؤال ممكن بالنسبة له ، لذا نظر لى فى غباء ثم قال :

« هذا ليس من شأنك .. لقد اتسخ الجلباب وما تحته بهذه المياه النجسة .. إتھا فى كل مكان .. استعرت هذه الثياب من قسم الملبوسات .. »

كنت أنا قد كونت وجهة نظر لا بأس بها : الرجل بريء تماماً وهذا كله سوء فهم . لكن لا يمكن أن نجازف .. بالفعل سيكون من الأفضل أن نحبسه فى مكان ما ..

رأيت شفتي (هن - تشو - كان) تتحركان فعرفت أنه يتلو تحذيرات السارايانا ، وبالفعل كان ينقل قدميه ببطء مع الخطوات الثلاث .. باختصار كان يؤدي الحركات وينذر الرجل لكن بشكل خافت رمزي بحيث لا يسمع الإذازر.. فعرفت أن السهم غادر الوتر ..

بعد ثانية كانت البندقية فى يد الكاهن الأخير والخفير على الأرض ، وقد استقر دبشك البندقية على عنقه مهدداً بتهشيمه .. بينما قدم (هن - تشو - كان) اليسرى على صدره ..

« سوان هاتشاه سارايان !! »

قالها فى فخر . لا داعى للنصب يا فتى ، فالرجل لم يسمعك ولو سمعك لما فهم .. لو كان الرجل يعرف معنى السارايانا ومعنى مواجهة كاهن نافاراي لتخلى عن البندقية طوعاً ..

« كفى يا (هن - تشو - كان) .. هل فقد الوعي ؟ »

« نعم .. سوف يستغرق وقتاً حتى يفيق .. »

قلت وأنا أبحث فى قسم التغليف عن شريط بلاستيكى مناسب :

« سوف نقيده ونحبسه فى غرفة المحاسب .. هذا هو التصرف الوحيد السليم . لو كان بريئاً فنحن لم نؤذّه ، ولو كان هو الطفيل فنحن قد قيّدناه ... »

كان هناك كذلك مشمع لاصق عريض ، مما أعطانا خيارات ممتازة .. وهكذا التففنا نحن الثلاثة حول الخفير فأفقد الوعي ، كأننا أطفال يغلفون هدية عيد ميلاد .. وعندما انتهينا كان من المستحيل عليه التحرر... لو كان بشرياً .. ثم كتمت فمه لسبب بسيط هو أنني لا أريده أن يتوسل لأحد رفاقه عبر الباب كي يخرجّه .. ربما لم يكن هو فعلاً

كان القفل موضوعاً على غرفة المحاسب لكنه مفتوح.. هكذا قمنا بجر الجسد الثقيل إلى داخل الغرفة ، ثم أصررت أنا على إخراج جثة الزوج مروان لنضعها فى الممر .. لو كان هناك شيء يخرج من الجثث ، فلا أريد أن نكون المسؤولين عن رجل مقيد يواجه هذا الشيء وحده فى غرفة مغلقة ..

هكذا قمنا بغلق القفل بالضغط ، ومعنى هذا أنه لا خروج للخفير إلا بمفتاح .. لكنه لن يموت جوعاً بهذه السرعة طبعاً ... جلسنا على الأرض مرهقين فلم نعد نبالى بثيابنا ..

نظرت لساعتي .. الثانية بعد منتصف الليل .. سبع ساعات منذ دخلنا هذا المتجر المشنوم ..

قال (هن - تشو - كان) :

« علينا أن نجد مخرجًا .. »

قالها وهو ينظر لأعلى مفكرًا ... ثم هتف :

« ريفات .. لابد أن هناك طريقة لبلوغ السطح . من

الممكن أن يكون هذا هو الحل .. »

قال (هن - تشو - كان) :

« اعتقادی أن إيقاع الأحداث سيتسارع .. الاتهبير الجليدى سيتسارع ويغضى أكواخ القرى . السبب هو أن الشىء يجب أن يتم قبل الشروق وقبل أن يخرجونا من هنا ... »

« أى شىء ؟ »

« لا أعرف .. ربما هو هلاكنا وربما هو تحرر هذا الشىء .. »

لا نعرف حتى اللحظة .. »

قالت نادين وهى ترتجف وتحتضن طفلها بعصبية :

« لابد أن أهلى قد جنوا رعبًا .. فى المعتاد أكون فى دارى عند منتصف الليل عندما يكون عملى ليلاً .. لقد اختفيت أنا والطفل تمامًا بالنسبة لهم .. »

ثم التفتت نحو الصغير :

« هل أنت جانع ؟ لحظة .. »

هنا لاحظت للمرة الأولى أنها تحمل حقيبة صغيرة تتدلى من كتفها .. عبثت فيها وناولته (باكو) من البسكويت .. لكن الصبى لم يبد مفتوح الشهية جدًّا ..

رفعت :

يا لها من معلومة قيمة !.. كُن العُثور على سلم يحتاج لمعونة ..
فعلًا سوف تزيحين عنا عبئًا لا بأس به لو انضممت للجموع ..

ناديين :

ليكن .. لكن كونا حذرين .. هيا يا أشرف ..

(الطابق الرابع)

رفعت :

أعتقد أن السلم سيكون في الركن .. جوار مخرج الطوارئ
أو داخله ..

(هن - تشو - كان) :

لا يوجد معنا كشاف .. انتظر ..

رفعت :

فانوس الأطفال الكهربى هذا .. فكرة ممتازة مع أنك هسمت
الزجاج بركلتك .. على كل حال لقد ولى عصر الحفاظ على
المعروضات .. خذ راحتك .. المهم أن نجد حجرين جافين .. ها
هما .. وهذا هو السلم المعدنى .. يقود لفتحة فى السقف ..
لكنها مغلقة فعلاً ..

- 9 -

رفعت :

هل تعتقد أن العمال لم يحاولوا ذلك ؟

(هن - تشو - كان) :

هناك احتمال لا بأس به أنهم لم يفكروا فى ذلك ..

ناديين :

هناك سلم فى الطابق الرابع يشبه سلام المطافى وهو يقود
للسطح .. لا أعرف إن كان هناك باب مغلق أم لا ، لكن الأمر
يستحق المحاولة ..

(هن - تشو - كان) :

نتكلمين عنى وريفات .. أما عنك والطفل فقد حان وقت
النزول للانضمام للجميع تحت .. أعتقد أن الزحام مزعج لكنه
أكثر أمنًا ..

ناديين :

لكنى أعرف مكان السلم ..

(هن - تشو - كان) :

صوب الكشاف على وسوف أتصرف ..

رفعت :

لا يستجيب .. هناك قفل يغلقه بإحكام . اضرب بقوة ..

(هن - تشو - كان) :

يحتاج إلى ضربة أقوى .. انتظر ..

رفعت :

يا للروعة ..!!.. لقد انقلبت بحركة بهلوانية ، بحيث صارت
قدمك أمام الفتحة ثم قمت بتثبيت جذعك وركلت الغطاء .. مع
قوة هذين الساقين كان لابد أن يتهشم ..

(هن - تشو - كان) :

هل أنت آت يا ريفات ؟

رفعت :

أصعد في هذا الدرج ؟.. لو كان الأمر كذلك يا بنى لما احتجت لك
أصلاً ولأنهيت المشكلة في دقائق .. سوف أنتظرك طبعاً ... قلبي
لا يتحمل صعود هذه الدرجات .. هيا خذ الفاتوس واصعد أنت ..

(هن - تشو - كان) :

ليكن .. لكن خذ الحذر ...

رفعت :

أعتقد أنك الوحيد المههد هنا .. رائع !.. انقلبت بسهولة
بهلوانية ليصير رأسك لأعلى من جديد . والآن تحشر جسدك
عبر الفتحة .. حظاً سعيداً .

(صوت ضوضاء)

(صوت صراخ مكتوم)

(هن - تشو - كان) :

ريفات .. ساعدنى !

رفعت :

ماذا يدور عندك ؟.. أنت مختلف بالكامل .. (هن - تشو - كان) ..

تكلم .. أنا لا أرى سوى السماء السوداء من هذه الفتحة ..

(الصراخ مستمر)

(صوت ارتطام ومقاومة)

الجزء الثالث

أسطورة الطفيل

هناك خطر آت .. خطر داهم يحاول السيطرة على الكون ..
هذا الخطر سوف يخرق إحدى الثغرات التي تربط عالمنا بعالم
الشياطين .. عندها ينهار عالمنا لندخل في الحقبة المغلفة . عليك
أن تعرف كل شيء عن الـ (نامو أميتابها) لأنك قد تكون
الرجل المختار ..



(هن - تشو - كان) :

تشا ساراياتا .. كيو ساراياتا .. جوانغ ساراياتا ..!!

رفعت :

لا وقت للطفوس أيها المخبول .. لكن .. هذا يعنى أن هناك
خصماً .. خصماً قابلاً لقتاله ..

(صوت ضوضاء)

رفعت :

(هن - تشو - كالاان) !.. لماذا لا ترد ؟ لا لا لا لا لا !!!

- 1 -

عندما تغرب الشمس وتلطخ دماؤها ثوب المساء الأزرق ..

عندئذ يبدأ فجر النافاراي ..

التقاليد هي عماد التحضر في ذلك العصر البعيد ، وبالتحديد في قرية (توجيجي) بالتبت ، حيث تم اللقاء الأول بين الكاهن الأخير و (جيدون شوكي نيم) .. إنه - فيما يقولون - التناسخ العاشر للاما (باتشن رينبوش) العظيم .. برغم أن النافاراي لا يؤمنون بالتناسخ ، فقد كانوا يحترمون عقائد الآخرين ..

لقد حكيت لكم جزءاً من هذا اللقاء من قبل ، واليوم أنكرم به ..

إنه أهم الأحداث في حياة (هن - تشو - كان) وإن كان لا يعيننا بالطبع على الإطلاق ...

وقد دخل (هن - تشو - كان) الدير على ركبتيه حتى صار أمام اللاما فمرغ جبينه في الثرى .. عندما رفع رأسه وجد أن شوكي نيم) يجلس القرفصاء لكنه على ارتفاع متر عن الأرض .. شيء كهذا يطير صواب الفلاحين ، لكن (هن - تشو - كان) قام بنفسه بأشياء مماثلة مراراً ، ويعرف أنه لا معجزات هنا

إلا معجزة التركيز الذي يصل إلى درجة نوبان الذرات في الذرات .. (النافاراي) يصنعون مثل هذا وأكثر ..

قال اللاما العظيم :

« أنت (نافاراي) ... عرفت هذا من ثيابك .. »

يقول الكاهن الأخير وهو يطرق برأسه :

« يطلقون على الزهرة الزرقاء أيها اللاما العظيم .. »

« وأنت لا تؤمن بنا . لا تؤمن بي .. »

« تعلمت أن أحترم معتقدات الآخرين أيها اللاما العظيم .. »

ارتفع اللاما إلى أعلى أكثر وأغمض عينيه كأنه يحلم وبدأ يتكلم بصوت خفيض :

« إن (التاتترا) قد زحفت على معتقدات البوذية ولوثتها .. المهايانا المقدسة صارت تتخذ طابعاً شهوانياً يقدر قوى الأوثة والخصوية في الكون : البراكريتي Prakriti .. الربة الهندية كالي . ومن هنا ولدت فكرة الأمهات المقدسات (مدترى) .. واضطروا لاختراع الكثير من الآلهة لتمثل قوى الشهوانية هذه .. »^(١)

(١) كلام دقيق .. خرافات طبعا لكنها دقيقة وليست ونبذة خيال المؤلف .

باختصار : لم تعد الأمور كما كانت فى الماضى السعيد ..
الكلمة التى يقولها الجميع بدءًا بسائق سيارة الأجرة وانتهاء
بذلك اللاما البوذى العجوز ..

قال اللاما بينما (هن - تشو - كان) يصغى باهتمام :

« كل شىء يحدث فى الحياة يميل لأن يتكرر إلى الأبد .. لهذا
 نجد أن ما يدهشنا اليوم هو تكرر لعشرات المرات السابقة . وهذا
 الميل للتكرار لا ينجم عن طاقة تهوى التكرار وإنما ينجم عن عدم
 وجود قوى تعرقله . فى كتاب (ساميوتا نيكايا) يطلق حوتاما
 على هذه الظاهرة اسم (بالى كايا) .. العالم بدأ بالـ (بيكو هو)
 وهو الخلق الأول .. ومن الميلاد حتى الموت تدور الدورة ..
 لكن البداية غير واضحة وهذا يعنى أنه لا وجود لها ، لأنه فى
 البوذية يتساوى تعبيراً (غير واضح) و (غير موجود) . »

كان (هن - تشو - كان) يعرف هذه الأمور برغم أنها
صعبة التصور .. إنها من صميم صميم البوذية ..

أردف اللاما وهو يعلو بعض الشىء :

« يقول بوذا لأناندا : لو لم يولد أناندا فهل نرى له
 شيوخة أو موتاً ؟ .. يقول أناندا : لا يمكن يا سيد .. هذا يعنى
 أن عدم الوضوح يعنى عدم الوجود كذلك . وهكذا تجد أن لنا

أربع حقبات .. الحقبة التى تغلف وهى تمثل انهيار العالم ..
 الحقبة المغلفة وهى الانهيار .. الحقبة النامية هى بدء الحياة من
 جديد .. الحقبة المكتملة هى ذروة نمو الحياة . يجب أن تفهم
 معنى (نامو أميتابها) أى (تكوين اللشىء) .. »

كان (هن - تشو - كان) قد اعتاد هذا الكلام الغريب ،
 وعرف أنه يقود إلى مفهوم (الأرهان) Arhan .. المفهوم الأهم
 فى البوذية وهو الإنسان المكتمل ..

حسب كلام اللاما ، فالكون دورات من الانهيار ثم البدء من جديد ،
 وفى كل دورة يتطور الإنسان أكثر ليقترّب من (الأرهان) ..

قال اللاما (جيدون شوكى نيم) :

« نفس (بالى كايا) تتكرر مع التانترا .. التانترا تحاول
 السيطرة على الكون لتعجل بحقبة التغليف .. فى كل مرة تحاول
 قوى الشر أن تصل للسيطرة والاستيلاء على (دارما) .. قوة
 الكون كله ، وذلك عن طريق عالم الشياطين . عالم الشياطين
 مواز لعالمنا ومنه يعبر لنا الأشرار وتحاول قوى البراكريتى أن
 تصل لعالمنا .. دورة تتكرر كل 1570 سنة ، وفى كل مرة
 يفشلون لأنهم لو نجحوا لعم الخراب . خذ الحذر أيها النافراى ..
 خذ الحذر وأنذر قومك .. »

ثم بدأ يهبط إلى الأرض .. وفتح عينيه ..

كان (هن - تشو - كان) يعرف التقاليد .. لا يمكنه الاستفسار عن أى شىء لأن هذه غيبوبة .. اللاما نفسه لا يعرف ما قاله ..

كانت النبوءة خطيرة ، لأن الدارما هى قوة الكون ذاتها ومن العسير تصور أن تسلب من التبت ..

لكن (هن - تشو - كان) قدر أن هذا الكلام هذيان على الأرجح ..

لم يصرح بهذا بل خفض رأسه وتراجع إلى الخلف دون أن يعطى اللاما ظهره..

— 2 —

الأخ ميانج :

تعال أيتها الزهرة الزرقاء .. تعال فأنت تتجمد بردًا وقد تراكم الثلج على غابات حاجبيك وضميرتك . تعال إلى حيث النار والشأى بالزبد .

(هن - تشو - كان) :

تحية أيها الأخ العظيم (ميانج) .. النافاراي لا يبرد لأنه يوقد نيرانه الداخلية .

الأخ ميانج :

هل ذهبت إلى (تو جيى) أيتها الزهرة الزرقاء ؟

(هن - تشو - كان) :

بالطبع .. (فى سخريّة) وسمعت الكثير من كلام الماهياتنا ..

الأخ ميانج :

أنت قابلت تناسخ اللاما وتسخر ؟

(هن - تشو - كان) :

نحن لا نؤمن بالتناسخ أيها الأخ العظيم

(هن - تشو - كان) :

هذا كل شيء ..

الأخ ميانج :

رسالته بالغة الأهمية .. هناك خطر آت .. خطر داهم يحاول السيطرة على الكون .. هذا الخطر سوف يخترق إحدى الثغرات التي تربط عالمنا بعالم الشياطين .. عندها ينهار عالمنا لندخل في الحقبة المغلفة . عليك أن تعرف كل شيء عن الـ (نامو أميتابها) لأنك قد تكون الرجل المختار ..

(هن - تشو - كان) :

ولماذا أنا ؟

الأخ ميانج :

لأنك أفضل رجل لدينا .. أنت أكثرنا اكتمالاً وأدانا إلى (الأرهان) ..

(هن - تشو - كان) :

قال إن الدورة تتكرر .. هذا هو الـ (الياي كاي) ..

الأخ ميانج :

إنما أرسلتك كي تسمع منهم وتفقد كبرياء النفس .. أسوأ أنواع الكبرياء أن تعتقد أنك وحدك تملك الحقيقة وأن من عداك لا يملك منها شيئاً .. طلبت منك أن تقدم له الاحترام وأن تمرغ رأسك في الغبار أمامه ..

(هن - تشو - كان) :

وقد فعلت أيها الأخ (ميانج) .. لكن لم أتجاوز هذا .. معنى أن أصدق نبوءته أن أصير منهم .. معنى أنني نافاراي هو أنني أراهم على خطأ .

الأخ ميانج :

سوف تعود له وتطلب الصفح .. سوف تمرغ رأسك في الثرى من جديد ..

(هن - تشو - كان) :

سأفعل يا أخ ميانج ..

الأخ ميانج :

لا ترحل الآن بل بعد العاصفة . والآن احك لي ما قال لك ..

- 3 -

من الواضح تمامًا أنني سأصعد ..

المشكلة هي أن جهد الصعود مع الانفعال وكل هذا الأدرينالين
سيجعلان قلبي في حالة خطرة .. يكفي أن يقول لى أحدهم
(بخ) لأسقط ميتًا ..

هناك خطر داهم فوق .. لا شك في هذا ..

والأهم أنه قادر على هزيمة الكاهن الأخير .. معنى هذا أنه
لا فرصة لى على الإطلاق .

هل أطلب عونًا ؟.. لا وقت لذلك .. من الوارد أن أعود لأجد
أن (هن - تشو - كان) قد تحول لذبابة فارغة كالباقين .. فقط
لأضع قرص نيتروجلسرين تحت لساني .. لو كان معي (غالق
بيتا) الذى يحمى قلبي من تأثير الأدرينالين القاتل ، لكان هذا
رائعًا .. لكننا لسنا فى كافيتيريا لو لاحظت هذا .. لا بد من
الاكتفاء بالموجود ...

توكلت على الله ووضعت ساقًا كالعجين على أول درجة ..

الدرجة الثانية ...

الأخ ميانج :

نعم .. كل 1570 عامًا ... ومعنى كلامه معك أننا ندنو من
إحدى الفترات .. سوف أحبسك فى الدير ويكون عليك أن تعرف
كل شيء عن الـ (نامو أميتابها) أو (تكوين اللاشيء) .. إنه
فى كتاب الشوكارا .. يجب أن تعيه وأن تفهمه ..

(هن - تشو - كان) :

سأحاول يا أخ ميانج.

الأخ ميانج :

لا أريد منك أن تحاول .. أريد أن تفعل ...



لكن عينيه مغمضتان غائبتان .. إنه فى غيبوبة ..

جررته بكثير من الجهد بعيداً عن تلك البقعة الرهيبة .

هناك فتحة مخيفة فى السقف ، لكن لا أحسب أن إغلاقها مهم ..
هذا الشيء برهن على قدرته على الدخول والخروج متى أراد
وفى أى مكان ..

تحسست ساعديه وساقيه فوجدت علامات الممصات .. لقد بدأ
الشيء العملية ولم يكملها .. لعل (هن - تشو - كان) كان
خصوصاً عسيراً . لعله تملص فى اللحظة الأخيرة والدليل أنه هوى
عندى .. الشيء لم يلقه بالتأكد ...

نهضت وأسرعت أبحث عن أشخاص يساعدوننى .. لن أتمكن
من نقله لمكان آمن وحدى ..

من ناحية الهستيريا فعلت نادين ما بوسعها حتى توقعت أن
تصرخ (يا سبى يا جملى) وهى تمزق شعرها .. لقد أرقدوا
(هن - تشو - كان) على الفراش الذى كنت أرقد عليه منذ
ساعة فى الطابق الثانى ، وبذلت جهداً جهيداً كى أقتنعهم بعدم
صب سوائل فى حلقه ..

هنا فوجئت بشيء يتدلى من أعلى عبر الفتحة ..

وقبل أن أفهم ما يحدث كان جسد (هن - تشو - كان)
يسقط فوقى .. لم أستطع تفاديه فسقطت من تحته .. ولحسن
الحظ أنه خفيف الوزن وأننى لم أرتفع جداً ..

هناك سقطت على الأرض ورفعت رأسى إلى الفتحة بسرعة ،
فرأيت الضوء الخافت القادم من الفانوس .. ورأيت تلك الأشياء
تتحرك أمام خنقية من ظلام الليل .. ثعابين ؟؟ مصصات ؟؟ ...

إن السطح يعج بها إذن .. لنن كنا نحن أغبياء لم نفكر فى
الصعود ، فقد توقع الشيء أننا أذكى .. وانتظرنا فى صبر ...

هل ينزل لى ؟؟

حبست أنفاسى وكان هذا سهلاً لأن خاصرة (هن - تشو -
كان) تجثم على صدرى وتمنعنى من التنفس فعلاً .. رأيت ذلك
الشيء يتحرك ثم يبتعد ..

هنا هزرت (هن - تشو - كان) متوقفاً الأسوأ .. إنه
صامت تماماً مرتخ كدمية من قماش ..

بذلت جهداً عسيراً لأخرج من تحته ثم تحسست شريان عنقه ..
إنه حى .. لا شك فى هذا .. يتنفس كذلك ..

جلست جواره وتحسست نبضه ..

على قدر علمي هذا أول واحد ينجو من الهجمة .. أنا لا أعتبر ناجياً إنما اشماز الكائن مني واعتبرني ميتاً .. لكن كيف يعود لوعيه ؟ .. أعرف يقيناً أنه مهم جداً لإتقاندنا .. القصة كلها تقوم على كتفيه وعلى الإشارات التي تلقاها من الأخ (مياثج) .. دكع من قدراته المذهلة . الآن نحن مجردون فعلاً واقفون في العراق ..

للمرة الثانية يرقد هذا الفتى فاقد الرشد وأنا أقلق عليه .. كانت المرة الأولى عندما التقينا أول مرة ورحل هو لعالم الهلوس العجيب (زاناو) ... هذه المرة قد تكون الأخيرة ..

قالت لي نادين وهي تجفف دمعها :

« ماذا قد دهاه ؟ »

« هاجمه الشيء الذي هاجمني .. لكن مع أمثالي لا يحدث الناس كل هذه الهستيريا .. والآن خير ما تفعلينه هو أن تبقى في الطابق السفلي مع أشرف .. بالمناسبة أين هو ؟ »

تلقت حولها في غياب ثم قالت :

« لا شيء .. هو مولع بالاختفاء .. هذا لا يثير قلقي .. إنه يحب لعب المسابقة . لقد هرعت هنا عندما سمعت ولم ألاحظ إن كان خلفي أم لا .. »

« ليس في جهنم بالله عليك .. نحن في الجحيم ذاته .. كلما حسبتك تراقبينه بعناية اتضح أنك لا تعرفين أين هو .. أنت تعتقدين أن عالماً روضة أطفال تلهو فيها الغزلان والأرانب الصغيرة .. »

أصدر (هن - تشو - كان) أنيناً فمدت يدها تربت على ساعده ..

رحت أنظر في المكان حيث تناثرت قطع الأثاث والمفروشات .. مكان يجب أن يثير بهجة وخيال أية عروس تجهز بيتها ، لكنه الآن صار يثير خيالات من نوع آخر ..

هنا هتف أحد الرجال الذين ساعدوني في نقل (هن - تشو - كان) :

« هناك !.. الصبي سليم .. »

كان الوغد الصغير يهبط بسؤدة على الدرج وهو يمسك الترابزين ، محاذراً أن تتعثر قدماه الصغيرتان .. طريقة الأطفال في وضع القدمين معاً على كل درجة . في يده قطعة من البسكويت يقضمها دون نهم .. من أين جاء ؟ .. ماذا كان يفعل في الطابق الثالث أو الرابع ؟

قلت له أمراً :

« أشرف .. لا تترك أمك ثانية .. »

وهتفت نادين فى جزع كأنها قررت أن تخاف فجأة :

« أشرف .. حبيبى .. لا تثر فزع ماما ثانية .. الطابقان فوقنا خاليان تماماً وفيهما أشياء مخيفة .. »

نعم .. هناك جنث .. الكثير منها .. بل إن جنثة أبيه واحدة منها .. لكنه يملك غريزة استكشاف ممتازة ..

هذا غريب فعلاً ...

« أريدك أن تراقبى (هن - تشو - كان) والطفل .. مهمة سهلة ومحبية للنفس فلا تقصرى فيها . أرجوك .. »

قالت فى تنمر ، كأنها فارس يستقز الكمأة وهو يدور حول الأسوار باحثاً عن مبارزة :

« ماذا تعنى بـ (مهمة محببة للنفس) ؟ »

« أعنى أنها مهمة محببة للنفس .. »

بعد هذا كله تريد أن تغضب لو لمحت إلى أنها تميل للكاهن الأخير .. شىء يثير الجنون فعلاً .. هذه التصرفات الأنثوية تثير جنونى فعلاً ..

هرعت إلى غرفة المحاسب ..

أنا أعرف يقيناً أننى أغلقت الباب ، لكنه كان مفتوحاً .. القفل يتدلى فى بلاهة جوار الباب ولا توجد علامة على العنف .. جنثة الزوج المغطاة هناك جوار الباب حيث تركتها وهذا يدل على أن الحياة ما زالت باسمة ..

دخلت المكتب فى حذر وألقيت نظرة ...

ربما توقعت أن يكون هناك شخص بالداخل أو طفيل له رأس أخطبوط من عوالم لافكرافت .. لا شىء من هذا .. ليت الأمر كان كذلك ..

ما وجدته كان أكثر رعباً ...

لا أحد فى الغرفة ...

الخفير الذى كان مقيداً فاقد الوعي مكمماً جوار الأريكة ، لم يعد هنا . لقد هرب .. هل فعل ذلك بنفسه أم أن هناك من فتح الغرفة وحرره ؟ .. هل الخفير حى ؟ .. هل هرب أم أن هناك من وجده مقيداً فنقذ كوابيسى ؟ ..

شعرت بشىء يتهشم تحت قدمى .. هذا فتات ..

رفعت :

ذنبه أنه .. لا شيء .. أعتذر بشدة .. فقط أرجو أن تنزلي
معه للطابق السفلي .. لا أريد أن تكونا وحيدين ...

نادين :

لن أترك صديقك هذا أبداً حتى يفيق .. لقد أنقذ حياتي مرة
وكاد ينقذها مرتين ..

رفعت :

نسيت فعلاً .. المشكلة هي أنني عاجز عن الحركة ..
لا أستطيع ترككما مع (هن - تشو - كان) ولا أستطيع ترك
أشرف معك .. ولا ..

نادين :

ألن تكف عن هذا ؟ .. تقول كلاماً غير مترابط .. هل تحسبني
ساوؤدى صديقك ؟

رفعت :

أشرف .. هل دخلت تلك الحجرة التي أغلقناها ؟ .. التي حبسنا
فيها الرجل ؟

أشرف :

لا .. لا .. بابا هناك وهو مريض جداً ..

رفعت (يكلم نفسه) :

بالطبع .. لو فعلت ذلك لأنكرت .. الحقيقة أنه لموقف محير
فعلاً... لكن كلما فكرت في الموضوع بدا لي منطقياً أكثر . كنت
أنت مع أبيك ثم برزت لنا ووجدنا أباك ميتاً .. ظهرت كذلك بعد
موت المدير .. تأتي من الطابق المظلم الذي أخاف أنا نفسي من
المشى فيه ، غير مهتم كأنك تنتمي لهذا الرعب .. بل أنت هذا
الرعب .. شخص واحد كان ينتقل في كل مكان طيلة الأمسية
ويختفى .. والسؤال هو : هل أنت كذلك منذ البداية أم أصابتك
العدوى بشكل ما ؟ .. وكيف لي أن أعرف ؟ .. وكيف أخبر
الآخرين إنني أشك في طفل في الثالثة من عمره ؟ .. كنت أومن
دوماً أن الأطفال كائنات شيطانية لكن ليس لهذا الحد .. ترى هل
تحتفظ بلامحك الطفولية هذه أم تفتح فاك لتبرز تلك المصصات
المرعبة منه ؟ ... أم أنك تتحور بالكامل ؟

نادين :

إن صاحبك يحرك شفتيه وحدقاته تنجس كأن فيه جلم ..

رفعت :

وددت لو اعتقدت هذا بدورى .. لكن المشكلة أن أحدًا لن يقتحم المتجر المغلق لأنهم لن يعتقدوا أن أحدًا بداخله ..

نادين :

يصرخون كثيرًا ويضربون الستار المعدنى لكن يبدو كأن أحدًا لا يسمعنا بالخارج ..

رفعت :

وهذا غريب .. يخيل لى أن هناك نطاقًا من الصمت والفراغ حول المتجر كله .. ليس العزل ماديًا فقط بل هو معنوى كذلك .. عزل حواس لو كان هناك شيء كهذا ..

نادين :

هناك كذلك طفح مجار يتزايد .. إنه آت من الباب الخلفى المخصص للعاملين ، لكنه لم يسبب مشكلة ما .. فقط الراحة كريهة بشدة ...

رفعت :

هل يكون هذا الشيء قد سد المجارى كذلك ؟ ..

رفعت :

إن ضمير هذا الفتى مثقل .. رأسه يحوى عدة ثقافات وعدة عصور ومئات الأسرار .. لا شك فى أنه يحلم بالكوابيس ..

نادين :

لم لا ننقله للطابق السفلى ؟

رفعت :

سوف يحتشدون حوله ويخنقونه ، ثم إن ظهوره سوف يحدث حالة هلع لا شك فيها لأنهم سيحسبونه مات .. بالمناسبة ماذا يقولون تحت ؟

نادين :

يبحثون عن المدير .. كلهم غضب وهناك رجل أخرج مسدسًا وأطلق طلقتين على الستار الحديدى .. للأسف كانت هذه آخر طلقات معه وإلا لأحدث ضجة لا بأس بها .. غير أن أحد العقلاء أقتنعهم بأن المشكلة ستحل لأن الصباح قد جاء . سوف تصل المطافئ وتحرر الجميع .. لا أحد يعرف سبب هذا الحصار ويعتقدون أنه إهمال تفاقم بشكل ما ..

نادين :

على كل حال هي مشكلة تتكرر من وقت لآخر .. يقولون إنه لا بد من استبدال المواسير كلية .. الأستاذ رفاعي يرحمه الله لم يرد أن ينفق كل هذا المال ..

رفعت :

سوف .. أشرف ..! ابق هنا !!

نادين :

قلت لك ألا تصرخ فيه ..

رفعت :

لنقل إننى أصرخ فيه بسبب القلق لا أكثر .. لا أريد أن يبتعد فى ليلة سوداء كهذه .. أشرف !! .. أشرف !! ... قلت لك أن تهسكى به جيداً ..

نادين :

أنت أثرت رعبه .. ليس هذا ذنبى .. أعتقد أنه ينزل إلى الطابق السفلى ..

رفعت :

لا تتركى (هن - تشو - كان) لحظة .. أنا سألحق به ..

- 5 -

الحقيقة أن هذه لعبة قاسية وغير عادلة.

لو تبين أن هذا الطفل هو الطفيل فأنا لا أعرف ما يجب عمله .. لا يمكن أن أقتله وأقول إنه يحمل لعنة ما . الأب الذى فعل ذلك - وكان محقاً - فى فيلم (النذير) قتله رجال الشرطة قبل أن ينفذ مهمته .. برغم أن الطفل كان هو الشيطان نفسه .

ماذا يمكن عمله ؟ .. وماذا لو كنت مخطئاً ؟

كنت أتوقع أن يساعدنى (هن - تشو - كان) فى الاختيار ، لكنى الآن طفل .. طفل مسن لا يرشده الكبار ولا يعرف ما يجب عمله .

أحبسه ؟ .. سوف يعتبروننى مجنوناً وسوف يملأ هو الدنيا صراخاً ..

كنت أفكر فى هذا وأنا أهرع إلى الطابق السفلى ..

كان هناك سيرك كامل .. معظم الموجودين ناموا على الأرض وقد فرشوا السجاجيد والستائر الجديدة .. بعضها كان ما زال فى كيس بلاستيكى .. جوار الجدران تكومت أسر كاملة معظمها غاف .

مشهد يذكرني بمترو أنفاق لندن أيام الحرب العالمية الثانية عندما كانت قنابل النازي تمطر لندن .

بعض الناس كان منهمكاً في الصلاة وبعضهم كان يجلس محدقاً في السقف بلا تعبير على وجهه .

لاحظت كذلك تسرب المجارى الذى تحدثت عنه نادين .. هناك أكثر من بالوعة في الأرض لتسهيل التنظيف .. وكان الماء يرتجع من بعضها لكنه ليس غزيراً لدرجة أن يبلغ كل مكان ، وإلا لما استطاع أحد النوم على الأرض ... فقط هناك رائحة كريهة خافتة .. سيكون الوضع مما لا يطاق بعد ثلاث ساعات لكن ليس الآن ..

طبعاً لم يذق واحد من هؤلاء الزاد منذ ساعات .. المتجر يبيع أشياء كثيرة ، لكنهم بالتأكيد يتمنون لو حبسوا في مطعم .. الأجل لو لم يكونوا نزلوا من بيوتهم أصلاً ..

لقد ساد الصمت واستسلم الجميع للقضاء . لم يعد أحد غاضباً يتهم الإدارة بالإهمال .. أين الإدارة ذاتها؟ .. الإدارة ماتت جوار دورة المياه بالطابق الثالث ..

ونظرت لساعتي .. بعد ساعة تملأ الشمس العالم لكننا لن نراها إلا من النوافذ ذات القضبان .. ربما يمكننا وقتها أن نلقت نظر المارة ..

جوار الباب الرئيس المغلق تمدد الكهربائى (عبد الوهاب) وذلك الموظف الذى عرفت أن اسمه (مختار) .. يبدو أنهما ضربا الباب حتى أرهاقاً فناما حيث هما ..

بالمناسبة : متى ترك (عبد الوهاب) المدير ؟ .. كان معه أثناء حرق الممص ، فهل تركه قبل أم بعد الوفاة ؟

من الوارد أن تكون نظرية الطفل هذه خاطئة ، ونعود لنظرية الرجل الذى يخفى الطفيل بداخله ..
وأين الطفل نفسه ؟

لأسباب فيسيولوجية اتجهت إلى الحمام في ركن المكان .. عرفت مكانه من اللافتة مع الرسم المميز الذى لا تتبين أنه رجل إلا بعد ما تلتصق أنفك به ..

الإضاءة جيدة هنا كأن الكهربائى قرر أن يضع الكهرباء كلها في مكان واحد . هناك رجل وامرأة ناما بالضبط جوار الباب وهو مكان شاعرى فعلاً للنوم ..

يجب أن أخطو فوق ساقى المرأة الممدودتين كى أدخل ..

ولكن .. لحظة ..

لا تبدو لى هذه امرأة نائمة .. لو شننا الدقة لقلنا إنها تبدو كقشرة امرأة نائمة ..

والرجل؟ .. ماذا عن الرجل؟ .. لقد تم امتصاصه .. والمرأة كذلك .. إنهما ميتان .. يبدو أنهما اختارا النوم هنا فى ركن المكان فهاجمهما الشيء .. لم يلاحظ أحد ما حدث ، مثلما يحدث فى السينما .. تقتل رجلاً ثم تبقية جالساً والقبعة على وجهه فيحسبه الجميع نائماً ..

إن الطابق الأول ليس آمناً .. لم يعد كذلك ..

هذا الشيء يتسلل بالهجوم على الأطراف .. كل من ابتعد أكثر من السلازم هوجم على الأرجح .. أعتقد أن كثيرين مروا على ساقى المرأة الميتة وهم يدخلون الحمام ، لكن أحداً لم يلاحظ أو لعل الحياء منعهم من التفرس فى ملامحها ..

إن الأطباء يحملقون فى الناس أكثر من سواهم .. هذه حقيقة ..

بالطبع لم أحدث ضوضاء لأننى تخيلت عاصفة الذعر التى ستجتاح المكان لو عرفوا أن هناك من مات بينهم ..

دخلت الحمام ففعلت ما جنت له ، ووجدت أن مشكلة المجارى موجودة بقوة .. إن المياه تغمر أرض الحمام والمبولة لم تعد تتخلص ما فيها ..

ما هذه الصدفة الكريهة؟ .. ولماذا الآن؟

غادرت المكان ورحت أفتش بين النائمى عن شخص لن ينهض .. بحثت فى ركن المكان . بالفعل وجدت رجلاً مسناً جوار باب الطوارئ الخلفى يرقد بين خراطيم الإطفاء وأسطوانات إطفاء الحريق . كان قد مات بدوره ..

دنوت منه أكثر ورحت أتفحص حدقة عينه .

هنا شعرت بحركة غريبة وراء الباب ..

أشرف!

كان الصغير يقف هناك ينظر لى فى رعب . الشعر يغطى أعلى عينيه بتلك الطريقة التى أكرهها ، مع ميله للصمت وسهولة البكاء .. لو لم يكن هذا هو الطفيل فهو طفل سخيف فعلاً ..

قلت له بصوت مبجوح :

« أين أنت؟ .. أمك قلقة بصدك .. »

ظل ينظر لى فى بلاهة ، فضغطت على أسناتى لأبدو متوحشاً
وقلت بصوت عال :

— « اصعد وإلا هشمت رأسك الآن ! »

ارتجفت شفته السفلى منذرة بالبكاء ، ثم تركنى واندفع نحو
السلم .. فليفعل ما يريد هناك لكن ليبتعد عن صديقى الغائب عن
الوعى ..

بمجرد أن ابتعد دخلت من باب الطوارئ أنظر حولى ..

هناك سلم حديدى يشبه السلالم الخلفية التى تكون خارج
البنائيات .. كل المطاردات فى الأقسام الغربية تتضمن سلماً كهذا ..

ما هذا الشيء المتدلى من أعلى ؟

هناك ضوء خافت يتسرب من نافذة على منور ما .. فى هذا
الضوء المغسول الجديد — ضوء يوم جديد لم يتلوث بعد — رأيت
تفاصيل الشيء الذى يتدلى ..

إنه الموظف المنافق .. قدمه محشورة بين درجتين وجسده يتدلى
كالجرس ... على وجهه تعبير رعب وخواء لا يمكن وصفهما ..

واحد آخر حذف من قائمة الاشتباه بعد فوات الأوان ..

وفطنت إلى أن صوتى يرتجف .. بالفعل كنت مذعوراً منه ..

لم يرد وظل يرمقتى فى ثبات .. كيف لى أن أعرف ؟ .. هل
أنت الذى هاجمت هؤلاء البؤساء ؟ .. ماذا تنوى عمله بعد ذلك ؟

يمكننى أن أقيده وأراقبه ، لكنه سيملاً الدنيا صراخاً وسوف
ينهض كل هؤلاء الأخوة للفتك بالعجوز المجنون الذى هو أنا ..

الأخطر أن يكشف لى عن جانبى القبيح الآن .. نحن بعيدان
عن العيون ومعظم الناس نائمون .. ماذا لو خرجت منه
الممصات وانتهى أمرى ؟

خطر لى أن أحداً لا يرانا .. لو هشمت رأسه الآن فلن يعرف
أحد ..

لكنه بالطبع كلام فى كلام .. لا أستطيع عمل هذا حتى لو قدم
لى شهادة تثبت أنه الشيطان ذاته . أنا الذى أجد صعوبة حقيقية
فى تهشيم صرصور بحدائى .. فقط أتخيل ...

قلت له بصوت آمر خشن :

— « هلم اصعد وابق مع أمك .. »

يمكن أن يقتلها لكن هذا لم يحدث حتى الآن .. ربما لا يحدث ..

- 6 -

رفعت :

أنت (بيومى) .. أليس كذلك ؟

بيومى :

هل تعرفنى ؟ .. كيف ؟

رفعت :

الأستاذ رفاعى المدير تكلم عنك .. هل أنت نائم ؟

بيومى :

بالطبع لا يا أستاذ .. من الواضح أننى أرد عليك !

رفعت :

معك حق .. أنا شديد الغباء فعلاً .. اسمع .. ماذا يحدث مع
المجارى ؟

بيومى :

هناك ترنشات تصرف للمجارى .. لكن يبدو أن هناك انسداداً ..
لا أعرف السبب لكنه حدث من قبل

لا أعرف ما جاء به هنا لكنه على الأرجح قام بمحاولة
استكشافية ما ، والنتيجة أنه مات .. لربما كان الطفل هو الذى
قتله .. من الجميل أن يقتلوا الطفل فلن أستطيع حذفه من القائمة
إلا بهذه الطريقة ..

طفيل .. ط .. ف .. ي .. ل ..

ربما (فتيل) أو (لطيف) أو (فليت) .. وربما هى لغة غير
العربية تماماً

لماذا لم تكن أكثر وضوحاً فى تحذيراتك أيها الأخ ميانج ؟

رفعت :

ولم تأتوا بمن يجرى التسليك ؟

بيومي :

كان الاسداد يزول تلقائياً في كل مرة .. الأستاذ رفاعي لا يريد أن يكلف نفسه ..

رفعت :

هل تعتقد أنه يمكننا العثور على طريقة للخروج لو نزلنا تحت .. أقصد أننا قد نتمكن من الخروج إلى الشارع ..

بيومي :

لا أعرف يا أستاذ .. لم نجرب هذا ، لكن الصباح قد جاء وعلى الأرجح سوف يخرجوننا وكفى الله المؤمنين شر القتال .. دعك من أن هذا الطفح يدل على أن هناك مشكلة ..

رفعت :

بيني وبينك .. لا أعتقد أن أحداً سيخرجنا .. المتجر مغلق ولا أحد يسمع صوتنا كما هو واضح .. لاحظ أن هنا أطفالاً قد استبد بهم الجوع والظماً .. عشر ساعات ليست هينة على الأطفال ..

بيومي :

إذن أنت تقترح أن نجرب النزول بدلاً من الصعود ؟ .. لابد من أن أطلب رأي الأستاذ رفاعي ..

رفعت :

إذن أنت لم تلتق عبد الوهاب الكهربائي ولا الخفير إبراهيم .. الأستاذ رفاعي قد مات !

بيومي :

هل جننت ؟

رفعت :

وهناك موظف معلق في درج الطوارئ .. إبراهيم مختف .. يمكنك التأكد بنفسك لو صعدت لغرفة المحاسب .. أقول لك إننا في مأزق خطير ..

بيومي :

كيف .. كيف ماتوا ؟

رفعت :

هذه قصة طويلة ولن تصدقها .. دعك من أننى غير متأكد من الطريقة أنا نفسى ..

بيومى :

إذن أنت تريد النزول ؟

رفعت :

نعم .. لكن لا بد لى من شخص معى .. شخص من المتجر ويعرفه جيداً .. نحن بحاجة إلى شخص آخر .. هل سنتريسى هنا ؟

بيومى :

تعرفه هو كذلك ؟ .. إنه ذلك النائم جوار البوتاجاز هناك .. لقد مزق الورق المقوى ليتغطى به ..

رفعت :

هل يمكنك إيقاظه ؟ ..

بيومى :

سأفعل ..

بيومى :

أسهل طريقة هى النزول بمصعد البضاعة .. إنه يقود إلى طابق تحت الأرض .. الواقع أنها الطريقة الوحيدة ..

رفعت :

وهل نمشى من هناك لنبلغ الترنشات ؟ .. أنا أبحث عن نفق تحت الأرض يصلح كى نمشى فيه .. أعتقد أننا سنكون فى الشارع بعد قليل .. هناك ترنش آخر فى الزقاق الخلفى .. ربما استطعنا الخروج منه ..

سنتريسى :

لكن لا توجد أرض نمشى عليها . أنت تتحدث عن الغوص فى المجارى يا أستاذ ! .. إن مستوى القذارة عال جداً ..

رفعت :

ربما استطعنا الخوض فيها حتى لو بلغت خصورنا .. ما زلت أمل أن نجد حلاً .. فقط نريد كشافاً .. هذا الكشاف النيون القابل لإعادة الشحن .. سنأخذه معنا ..

استريسي :

معى مفتاح المصعد .. يمكننا تشغيله ..

رفعت :

هل الكهرباء تصله ؟ .. قد يكون ميتًا كمعظم الأشياء هنا ..

استريسي :

لا .. المصباح الأحمر مضاء .. إنه يعمل .. تعال يا بيومى ..

سوف نجرب ..

رفعت :

توكلنا على الله ..

— 7 —

تعرف مصاعد البضاعة العتيقة هذه ..

المصعد يشبه القفص بالفعل لكنه واسع .. هو قفص قذر صدئ يحدث فضيحة صوتية عندما يتحرك ، كأنه ديناصور ينهض من سباته فى قاع مستنقع .

فتحوا الستار الحديدى الذى يشبه الأكورديون ، ودخلنا .. ورفع بيومى المصباح النيون ليوسع دائرة الضوء ..

نسيت أن أقول لك إن بيومى نحيل أسمر له شارب كث كأنه يضع مكينة تحت أنفه ، وستريسي بدين له كرش عملاق وهو من الطراز الذى يعرق ويلهث طيلة الوقت ، لكنه قوى البنيان .. طراز مخبرى البوكس الذين تعرفهم ..

بدأ الشيء يتحرك ببطء ... إنه يزل طابقاً واحداً كأنه ينزل لقلب الكرة الأرضية . تذكرت مصعداً يشبهه نوعاً فى ذلك المنجم فى (ديلوير) عندما بدأ البشر يتحولون لحشرات . فقط كانت الكينونة معى هناك وكنت أعرف أنها ستحمينى .. لم تكن معى روحياً بل مادياً كذلك فى صورة فتاة الغرف الباردة التى نسيت اسمها ..

أنا الآن وحدى ..

لكنى قدرت أن هناك حظاً حسناً ينتظر .. سوف نزل ونجد طريقة للخروج . لن نخسر برغم الاشمزاز الشديد والرائحة الكريهة ، وكنت أعرف يقيناً أنني سأخرج فى الزقاق لأصرخ طالبا النجدة ..

كنا نزل .. وننزل .

أخيراً صرنا نرى شيئاً يشبه رصيف الميناء .. فقط ليس هذا بحراً إنما هى مجار قذرة .. مجار ارتفاع مستواها حتى بللت الضفتين ..

برغم هذا ما زال مستواها منخفضاً نوعاً فمن أين ترتفع حتى تتسرب فى الطابق الأول ؟

سألت بيومى فمط شفته فى عدم فهم .. لكن على كل حال سيكون بوسعنا أن نمشى على هذا الرصيف الزلق فى حذر شديد .. سوف يقودنا إلى الخارج . لا شك فى هذا ..

توقف المصعد فمد سنتريسى يده إلى الباب الأوكورديون وفتحه ببطء ..

« هل سمعت هذا ؟ »

« سمعت ماذا ؟ »

« هذا الفحيح .. »

« لا .. هل تسمع فحيحاً ؟ »

« نعم .. »

قال سنتريسى فى حذر وهو يرفع الكشاش أكثر :

« لربما كان هناك حنش عملاق هنا ؟ »

« حنش ؟ »

ثم تذكرت أن الحنش هو الاسم العلمى للثعبان عند غالبية الناس .. ثعبان أو أفعى .. حنش .. أصله أو ثعبان .. حنش .. سام أو غير سام .. حنش ..

شئ ما بدأ يتحرك فى أعماقى .. ثمة نوع من التوتر .. إنه النذير ..

قلت لبيومى همساً وأنا لا أعرف السبب :

« وارب الباب .. لا تبقه مفتوحاً .. »

« ولمماذا ؟ »

« فقط وارب الباب ... »

وشعرت بدقات قلبي تتسارع ..

طفيل ...

الكلمة الغامضة التي حيرتني .. حيرتنا ..

ربما هي الطفيل كما نفهمه ..

ربما تعنى الطفل الصغير ..

لكن هناك تعريفاً ثالثاً حسب المعاجم العربية ..

الطين الراكد

— 8 —

(هن - تشو - كان) :

هل أنت هنا أيها الأخ العظيم (ميانج) ؟

الأخ ميانج :

شد ما يسرنى أن أراك من جديد أيتها الزهرة الزرقاء . أنت تدنو من التحلل جداً لذا صار اتصالنا أهون .. عندما يقترب المادى من عالم المعانى يسمع ويفهم الكثير .

(هن - تشو - كان) :

هل أنا أموت أيها الأخ ميانج ؟

الأخ ميانج :

الأمر يتوقف عليك يا (هن - تشو - كان) .. أنت تتعلق بالحافة ، فإما أن تثب إلى الدير أو تسقط فى الوادى السحيق . أنا بانتظارك ..

(هُن - تشو - كان) :

أنا رأيت وعرفت .. فهتمت الخطر الذى حدثتى عنه يوماً .. عندما عدت من (تو جيجى) وقابلت (جيدون شوكى نيم) .. اليوم أتذكر اللقاء وأستعيد ما قيل فيه . إنه ذات الخطر وقد كرر الدورة مراراً .. هذا هو الـ (البالى كايا) .. كم 1570 عامًا مرت منذ ذلك الحين ..

الأخ ميانج :

وفى كل مرة نجح أحدهم فى التصدى له فى بقعة من بقاع الأرض .. إن الثغرات كثيرة وأنت تقف فوق ثغرة منها .. واليوم هو الموعد ...

(هُن - تشو - كان) :

لكنك قلت إننى (أرهان) .. وهذا يعنى أننى الوحيد المؤهل لمواجهة الخطر ..

الأخ ميانج :

أنت الأفضل هنا والآن .. أقرب الأحياء إلى الأرهان ..

(هُن - تشو - كان) :

لكننى شبه ميت أيها الأخ ميانج .. أكره أن أترك هؤلاء البؤساء لمصيرهم لكن روحى أدنى إلى عالمك منها لعالمى .. لقد امتصوا إكسير الحياة منى ..

الأخ ميانج :

لقد هلكتنا وفررت أنت عبر الزمن قبل أن تدرس الـ (نامو أميتابها) أو (تكوين اللاشئ) .

(هُن - تشو - كان) :

وماذا أفعل ؟

الأخ ميانج :

يجب أن تعرف ..

(هُن - تشو - كان) :

لم تعد لى عينان .. لم يعد لدى عقل .. كتاب الشوكارا ليس

معى فى عالمك هذا ..



الأخ ميانج :

سوف أعلمك .. سوف أنقل لك ما أعرفه وعليك أن تستوعبه ..
 إن الموضوع شديد التعقيد لكنه ليس مستعصياً على الأرهان ..
 ولتعلم أن التضحية الكبرى تنتظرك .. هكذا تواجه البراكيريتى ..
 هكذا تنقذ الدارما

(هن - تشو - كان) :

سأحاول أيها الأخ العظيم .. سأحاول ..

الأخ ميانج :

لا أريد أن تحاول .. أريد أن تفعل ..

- 9 -

راح (هن - تشو - كان) يركل .. العرق البارد يحتشد
 كقطرات اللؤلؤ على جبينه ..

شفته تكرر ان بلا توقف كلمة لم تفهمها :

« نامو أميتابها .. »

يريد منهم أن يناموا ؟ .. من هم ؟ .. ناموا على كتابها ؟ ..
 كتاب من ؟

إنه يهذى بلا شك .. راحت تمرر أناملها بين خصلات شعره
 المبتلة السوداء الفاحمة .. إنه طفل كبير .. لا شك فى هذا ولربما
 كانت تميل له لهذا السبب .. فيه طفولة لا شك فيها .

إنه يركل ويتقلب ويعض أصابعه .. يتقوس بطريقة مرعبة ،
 فلو كانت ذات خبرة طبية لحسبته مصاباً بالكزاز (التيتانوس) .

نظرت للخلف فرأت (أشرف) يقف هناك لا يعرف ما يفعل
 أو يقول .

قالت له وهى تمسك بساعدى الكاهن الأخير :

« أشرف .. أين ذهب عمو (رفعت) ؟ .. أريد أن آخذ رأيه .. هل يمكنك أن تناديه ؟ »

قال بطريقة الأطفال السخيفة التى تشى بالنميمة :

« هو سخط فى .. وقال لى أن أظل بجوارك وإلا ضربنى ! »

« لن يفعل .. فقط هاته حالاً فأنا لا أعرف ما يدور هنا »

كان الكاهن الخير قد بدأ يعض لسانه فعلاً... رغبة ملوثة بالدم تخرج من بين شديقه وتتجمع على الوسادة . كانت قد رأت حالات صرع من قبل لأن أباها كان مصاباً به ، وقد بدت لها هذه حالة صرع لا شك فيها ..

إنه يتعذب .. لكن لماذا ؟

(نامو أميتابها) ..

(نامو أميتابها)

(نامو أميتابها)

(نامو أميتابها)

أنت تبعد عن الحقيقة أيتها الزهرة الزرقاء .. تمسك واقترب ..

تكوين اللاشئ ..

عندما يكون الشئ واضحاً فهو موجود ...

يقول بوذا لأناندا : لو لم يولد أناندا فهل نرى له شيخوخة أو موتاً ؟ .. يقول أناندا : لا يمكن يا سيد.. هذا يعنى أن عدم الوضوح يعنى عدم الوجود كذلك .

الحقبة التى تغلف وهى تمثل انهيار العالم ..

الحقبة المغلفة وهى الانهيار ..

الحقبة النامية هى بدء الحياة من جديد ..

الحقبة المكتملة هى ذروة نمو الحياة .

- 10 -

طفيل ... الطين الراكد ..

هل هذا ممكن ؟

كان الشعر الباقي على جانبي رأسي ينتصب رعباً ..

— « بسم الله الرحمن الرحيم !.. ما هذا !! »

قالها بيومي أو سنتريسى .. وهو يرى المشهد ..

كان الطين حياً .. كان يبرز من المجارى وكان له يدين
تحاولان الإمساك بأى شيء ... ثم يرتفع هذا الشيء المريع
فتبرز له ممصات ...

ثم يغوص فى الماء محدثاً طرطشة واسعة ، ومكاته يظهر
كائن جديد ...

لم يكن الطفيل يشبه البشر .. لم يكن الطفيل هو أشرف ..
المجارى كلها هي الطفيل .. المجارى هي الكائن الحى الذى
يهددنا ..

إنه الشيء الذى حبسنا هنا وقطع عنا الاتصال وأسدل
الستائر ..

الآن فقط أتذكر أن كل وفاة كانت جوار دورة مياه أو بقعة ماء
كريهة الرائحة على الأرض ..

من المجارى خرجت تلك الكائنات الغامضة لتهاجم كل شيء ..
وقد اختارت هذا المتجر كبداية .. الوجبة الأولى التى تمنحها
القوة والطاقة .. ومن هنا تنطلق ..

ولماذا ؟

لماذا هذا المتجر بالذات ؟

لا أعرف الإجابة يقيناً لكن تخمينها سهل ..

هذا المتجر يقع بالضبط فوق ثغرة من ثغرات جانب
النجوم

الآن تخرج هذه الأشياء الرهيبة من الماء القذر الموحد ..

تبدو لوهلة كأنها عالقة مغطاة بالطين ، لكن شكلها يتغير فى
كل لحظة .. تستطيل وتقصر .. ولها صوت كالفحيح بالضبط ...

يدنو أحدها من المصدر فأصبح فى بيومي :

— « اصعد !.. بالله عليك اصعد جالاً ! »

يضغط على الزر لكن شيئاً لا يحدث .

هذه الكائنات تستطيع تعطيل المصعد وتستطيع قطع التيار الكهربى والهاتف ..
اضغط ..

يضغط وهو يبكي كامرأة ملتاعة .. لا شيء .. سنتريسى كذلك تكوم فى ركن المصعد وهو يصرخ ..

وعبر قضبان الباب ألصق الشيء نفسه ثم استطل الممص نحو سنتريسى الجالس فى الركن .. إن لهذه الكائنات وجوداً مادياً على الأقل لهذا لا يستطيع الشيء التسرب بالكامل - كسائل - عبر القضبان ..

مددت يدي فى جيبى وأخرجت الخنجر الذى كان مع مروان ، وهويت به على الممص .. بقوة .. شعرت بأنى أمزق لحماً .. لا شك فى هذا .. ولد من الوحل لكنه لحم

ترجع الممص للخلف ، وهنا هتف سنتريسى فى جنون :

« ما هذا ؟ هاته ! »

وانتزع الخنجر من قبضتى . ثم راح يطعن فى كل اتجاه فى جنون من لا يرى ولا يسمع ولا يعقل ..

— « توقف يا أحمق سوف »

وسرعان ما وجدت النصل فى كتفى وشيئاً ساخناً يبلى المنطقة .. هذا المخبول فقد القدرة على التعقل تماماً .. لو كنت أقل حظاً لاخترق النصل قلبى ..

— « اهدأ بالله عليك ! »

راح يصرخ وهو يضرب بالخنجر :

— « عفاريت .. إنها فى كل صوب ! »

هنا حدث شيئان ...

تسلل ممص لينتزع الخنجر منه بسرعة البرق وبشكل لم أستطع فهم خطواته ..

الشيء الثانى هو أن ممصاً تسلل إلى كم بذلتى الأيسر ليزحف لزجاً بارداً رطباً إلى ما قرب إبطى

صرخت فى تقزز ...

وهنا رأيت ذلك الوجه المقيت يدنو منى فلا يفصله عنى

إلا القضبان ..

من الممكن أن تعتبره وجهًا بشرياً مغطى بالوحل .. فى موضع الفم هناك فجوة تخرج منها الفقاع .. لا توجد عينان .. لا أنف .. رائحة كريهة لا تصدق ..

تراجعت للخلف لكن الممص قربنى من القضبان أكثر .. هنا شعرت بالشئ فى جيبى ..

مددت يدى الحرة إلى زجاجة الحمض .. هذه المرة اضطرت إلى نزع السدادة بأسناني مع خطر أن يتطاير الرذاذ إلى عيني .. تصاعد البخار الحارق ..

صويت جيداً ودفعت بزخة من السائل الخطر فى وجه مهاجمى .. أصدر فحيحاً وتصاعد دخان كثيف يحرق العينين ، ثم شعرت به يسقط بعيداً ..

أعدت غلقى الزجاجة فى حذر .. فعال لكنه لن يكفى للنجاة .. إن هذه المجرى اللعينة لا تكف عن الولادة .. الكائنات تخرج منها كأنها يرقات يخرج منها البعوض ..

لماذا يتأرجح الضوء ؟

نظرت إلى بيومى فوجدته على الأرض والمصباح جواره ، بينما ثلاثة مصصات تمتص الحياة منه .. من عنقه ومن ذراعه ومن قدمه ..

فتحت الزجاجة وألقيت زخات على الممصات الثلاثة فتصاعد الدخان وتراجعت هذه عبر القضبان ... لن يطول الأمر فنحن لحم شهى محبوس فى قفص .. يبدو الأمر كأننا فنران فى مصيدة يحاول قطف هلامى الوصول لها . عندما رأيت فيلم (الفك المفترس) بعد هذا لم أستطع مشاهدة منظر الصيد الحبيس فى قفص بينما القرش الأبيض العظيم يدور حوله مصمماً على الوصول له ..

لن نتفدنا سوى معجزة ...

هنا سمعت صوت الارتطام على سقف المصعد .. ارتطام هز أحشائنا ..

صرخ سنتريسى فى هلع بصوت كأننى تلد :

« لقد جاءوا من فوق ! »

لكنى حبست أنفاسى للحظة .. هنا سمعت صوتاً مألوفاً يقول :

« تشا ساراينا .. »

- 11 -

عندما تغرب الشمس وتلطخ دماؤها ثوب المساء الأزرق ..

عندئذ يبدأ فجر النافاراي ..

* * *

الوثبة التالية جعلت (هن - تشو - كان) يقف على حافة الرصيف بالفعل ..

وصاح وهو يفتح ذراعيه مباعداً بين أصابعه ، حتى تحول إلى نمر آدمي يوشك على الوثب ..

« جوانغ ساراياتا ! »

ثم ..

« كيوه ساراياتا ! »

قالها وهو يرجع رأسه للخلف لأقصى حد ..

سأبدأ الساراياتا .. احترس من الساراياتا .. إليك بالساراياتا ..

لقد نجا ..؟ متى وكيف ..؟

وكيف ينوي أن يواجه كائنات هلامية كهذه ...؟

لاحظت في الضوء النيون شينين في يديه .. الشيء الأول هو مخرطة ملوخية .. نعم . يبدو هذا مضحكاً لكنها الحقيقة .. لقد أحضر معه مخرطة ملوخية يلمع نصلها في الظلام من قسم الأدوات المنزلية.. الشيء الآخر كان حزمة مغلقة بالمشمع .. ووضح أنه كتاب الشوكارا ذاته .

هنا بدأ الصراع ..

هنا بدأ الهول ..

الكاهن الأخير يخوض معركة حياته ..

كان يستعمل المخرطة باعتبارها نوعاً من الننشاكو Nunchaku المرتجل البدائي.. يطوح بها يمينا ويساراً ثم يدسها تحت إبطه ويخرجها ليبتتر هذا العنق أو ذاك .. أو ذاك الممص أو هذا .. ثم يعيدها هناك ..

كان يثب بين الكائنات ..

للمرة الأولى أرى فن التفادى الحقيقي (الراتجانا) .. هكذا كان يفعل في ممر النيران في التبت منذ قرون .. بالتأكيد هكذا كان يفعل .. ينحنى تحت ذلك الممص ثم يثب فوق هذا الذراع ويهوى بسلاحه البتار على العنق ، ثم يستعيد وقفته ويطوى السلاح تحت إبطه ..

أحياناً يبرز ممص مندفعاً نحو صدره فيخرج الكتاب ليتلقى به الضربة ، ثم يركله ..

أعتقد أن الكتاب يؤدي دور الدرع الواقى هنا ..

كانت تلك المخلوقات تتوالد من الوحل بلا توقف .. ومن السقف بدأ بعضها يتشكل ليسقط فوقه ، لكنه بالفعل قادر على تفادي مستعمرة نحل غاضب فلا يتلقى لدغة واحدة..

كان يدور فى الهواء ثم يهبط على ساق واحدة ..

يضرب الممصات ثم يتفادها بالكتاب .. ثم ينقلب ويحش بالنصل بضعة مصصات ..

لقد هزمته هذه الكائنات عندما انفردت به على السطح ، لكن من الجلى أنه تأهب لها جيداً .. إنه يعرف ما يقوم به ..

قال لى وهو يدير المخرطة حول خصره :

« ريفات .. جرب أن تشغل المصعد الآن .. »

« لن أترك هنا وحدك .. »

« بل أنت تزيد متاعبى .. هه !... هيا !.. سوف يتحسن

موقفى لو عرفت أنك »

وأولج النصل فى عنق شىء يحاول أن يمسك بخصره .. وأردف :

« سالم ! »

قال سنتريسى وهو يرتجف كورقة :

« هذا الفتى !.. إنه منهم !.. إنه عفريت ! »

« فقط شغل المصعد واطرح لى نظرياتك فيما بعد .. »

ضغط على الزر من جديد .. من الغريب أن الديناصور النائم بدأ يصعد ببطء .. يبدو أن الكائنات مشغولة فلم تعد تفكر فى تعطيله .. وطار (هن - تشو - كان) ليمسك بالباب الحديدى ويركل بعض الكائنات التى حاولت التسلق لنا ، ثم عاد يثب على الأرض ..

تذكر أن يصيح :

« ألقى لى بالمصباح ! »

تناولت المصباح وقذفته من فجوة القضبان فكان هناك فى اللحظة المناسبة ليلتقطه ، ثم يضعه مستنداً على الجدار .. يريد أن يرى أين تذهب ضرباته بالضبط ...

مشهد كأنه فى كابوس .. الضوء الأبيض و(هن - تشو - كان) وحده تحيلاً نبيلاً ، وتلك الأشياء تخرج من الوحل بلا توقف فى قاعة عريضة أقرب لنفق مظلم

تكوين اللاشئ ..

من دون الشوكارا يولد اللاشئ ..

وهكذا تفادى عددًا من الهجمات حتى صار يقف على حافة
المستنقع أو المجرور ...

بأعلى صوته صاح :

— « نامو أميتابها !! عدن للعدم أيتها الأمهات غير المقدسات
(مدترى) !.. »

ثم رفع ذراعيه وجرّد الكتاب من الغلاف الواقى البلاستيكي ..
وبلا تردد ألقى بالكتاب ذى الورق المصفر فى الماء القدر ...

فلتنتصر أيها الكاهن الأخير ..

لا تمت من فضلك

أعرف أن هذه هى الميثة التى تفضلها أنت ، لكنها لا تناسبنى
أبدأ ..

لما صار (هن - تشو - كان) وحده وارتفع المصعد أخيرًا ،
بدأ يشعر بنوع من الحرية ..

ازدادت ضرباته سرعة وقتًا .. لا بد أنه جنّد عشرين من
تلك الكائنات ..

لكنه كان يعرف الحقيقة .. سوف تتوالد هذه الأشياء للأبد ..
الأمهات المقدسات (مدترى) .. تأتى من الطين .. من الوحل ..
لن تنتهى أبدًا إلا بالتضحية الكبرى ..

هو عرف الـ (نامو أميتابها) ..

تكوين اللاشئ ..

لن يقهر هذه الكائنات إلا أن تسد الفتحة التى تعبر منها إلى
عالمنا .. الفتحة الشيطانية التى سيطلق عليها ريفات اسم
(جانب النجوم) ...

رفعت :

إنه تحت .. وكما قلت لك هو ينقذنا .. هل ترين ؟.. لقد استيقظ الناس وهم يرتجفون حيث تمددوا على الأغشية جوار الجدران .. لا أحد يفهم ما يدور هنا وأكذب عليك لو قلت إننى أفهم .. فقط أعرف أنه يواجه معركة حياته ..

نادين :

فلنلحق به ..

رفعت :

لا .. أنت لا تفهمين .. لنقل إنه صراع محترفين .. لا مكان للهواة فيه .. لو نزلنا لزدنا متاعبه فقط ..

نادين :

هل هو يعرف تفسير ما حدث ؟

رفعت :

الآن أعتقد أنه يعرف .. كانت الغيبوبة ضرورية كى يفهم ..
إن الأخ ميانج

نادين :

من هو الأخ ميانج ؟

— 12 —

رجل :

زلزال ؟

امرأة :

ماذا يحدث هنا ؟

رفعت :

المتجر كله يهتز بقوة مريعة لكنها ليست تلك الحركة الدوامية المميزة للزلازل .. هناك نوع من التفريغ الهوائى لا شك فيه ..

نادين :

ماذا يحدث هنا ؟.. أين (هن - تشو - كان) يا دكتور ؟

رفعت :

سوف تعرفين فيما بعد .. إنه ينقذنا ببساطة شديدة !

نادين :

لقد غادر الفراش فجأة .. كان نائماً يحلم بالكوابيس .. فجأة وثب من الفراش وصرخ : ريفات .. ثم اختفى من أمامى ..

يظهر (هن - تشو - كان)

رفعت :

(هن - تشو - كان) ..! يبدو أنك حققت المستحيل وأتمنى
أن أعرف كيف ..

(هن - تشو - كان) :

أنا أضرب (سيني) .. لقد اضطررت للتضحية بكتاب الشوكارا
يا ريفات .. كان هذا ضرورياً .. لكن هذا يعني أنني بيدي
قضيت على حكمة النافاراي وتراثهم .. يوم أموت أنا سوف
ينتهي كل شيء ...

رفعت :

لا أفهم شيئاً .. لا أعرف مصدر هذا الخطر الذى واجهناه
ولا لماذا هاجم مصر وهذا المتجر بالذات .. لا أفهم ما قمت به
أنت وإن كنت أشكرك عليه ...

(هن - تشو - كان) :

أنا أعرف الكثير الآن .. لقد وجدت الأجوبة .. يمكننى أن
أحكى لك .. أين نادين ؟

رفعت :

أنا لم أقل الأخ ميانج .. أنت تتخيلين أشياء غريبة .. المتجر
يهتز ثابئة بقوة .. هل تلاحظين أن مياه المجارى التى تلوث كل
شياء بدأت فى التراجع ؟

نادين :

وما معنى هذا ؟

رجل :

البوابة الرئيسية تنفتح !! هل ترون النور ؟

امراة :

هذا صحيح .. الحمد لله !! من فعل هذا ؟

رفعت :

الآن فقط أعتقد أن (هن - تشو - كان) قد انتصر ..

رجل :

نافذة العرض قد انفتحت .. الشمس تدخل . أرى المارة !!
أرى السيارات !!

رفعت :

هناك .. إنها قادمة فى لهفة ... هل ستخبرها بالحقيقة ؟

(هن - تشو - كان) :

لا أدرى ..

رفعت :

هل ستتزوج ؟

(هن - تشو - كان) :

تدمير الشوكارا لا يعنى أننى لم أعد نافاراي .. ما زلت نافاراي .. فقط غابت أسرار عظيمة فى تلك الثغرة ولن أعرفها ثانية .. لن يعرفها أحد ثانية ..

رفعت :

وهل أنت نادم على ما فعلت ؟

(هن - تشو - كان) :

بالطبع لا .. كل هؤلاء الأطفال فى أحضان أمهاتهم ما كانوا ليكونوا هنا .. كان العالم سيتبدل تماماً من دون الدارما .. هناك

قصة حكيها أنت لى عن سفينة تغرق عليها قط وكتاب لشكسبير ولوحة .. لو كان عليك إنقاذ شيء واحد فما هو ؟.. قلت لك إننى سأقتد الكتاب .. يبدو إننى كنت مخطئاً .. إننى من الطراز الذى كان سينقذ القط ... إن الحياة مقدسة يا ريفات ..

نادين :

ماذا فعلت يا (هن - تشو - كان) ؟.. ما كل هذا الوحل عليك ؟.. هذه الرائحة ؟..

(هن - تشو - كان) :

سأحكى لك كل شيء ... وربما لا أفعل ... إن الناس يخرجون .. فلنخرج معهم .. أريد أن أرى الشمس والنور وأملأ رنتى بالهواء ... لحظة .. لقد نسيت شيئاً ..

رفعت :

ما هو ؟

(هن - تشو - كان) **يستدير نحو المتجر ويصيح :**

سوان هاشته ساراين !!!

لقد أُنذِرهم أنه سيستعمل السارايناا لكنهم كانوا أغبياء ..
كانوا يريدون الفتك فقط وها هم أولاء قد دفعوا الثمن ...
خرجنا للشمس غير مصدقين ..

بالطبع ليس هناك من يعرف ما حدث بالضبط باستثناء قلة
محدودة ، وسوف يجد رجال الشرطة مجموعة من الجثث
المفرغة ولنغزاً غير مفهوم .. ربما يجدون الخفير حياً أو ميتاً ..
لا أعرف بالضبط ..

أما عن (هن - تشو - كان) فأتنا أعرف أنه سيحكى لناذين كل
شيء ، ولن تصدق حرفاً .. سيكون عليها أن تبتلع كل هذه الحقائق
بصعوبة بالغة .. وسوف يكون عليه أن يختار طريقه ... هل
سيعيش معها للأبد أم يتركها ويعود للتبت للأبد ...

ما أعرفه هو أن أسطورة الطفيل انتهت ..

وما أعرفه هو أن معرض الرعب كان في انتظارى

لكن هذه قصة أخرى .

د . رفعت إسماعيل

القاهرة

د . رفعت إسماعيل مع القراء

أما وقد انتهينا من سرد القصة ، فقد حان وقت الجزء الذى
أضمن له النجاح والإمتاع لأنه يعتمد على خطاباتكم .. هنا لن
يساورنى القلق لأننى أعرف أنه يكون جزءاً جميلاً دائماً .

فى البداية أذكر تنويهاً صغيراً سبق لى أن ذكره المؤلف فى
موقع (بص وطل) على الإنترنت ، وهو أنه - وبالطبع أنا -
لا يجيد التعامل مع موقع فيس بوك ويجده صعباً شديد التعقيد .
أصدقاء أعزاء كثيرون أنشئوا صفحات للمؤلف والسلاسل على
فيس بوك ، منهم (أحمد الديب) و(أحمد صبرى غباشى)
وهى مجموعات نشطة جداً . فقط لا يستطيع المؤلف التفاعل
معها ولكنه يتعامل بالطريقة القديمة مع منتدى روايات . إن
التقدم لا يتوقف عند حد ، بحيث صار الذين ما زالوا يتعاملون
بطريقة المنتديات موضة عتيقة .

لكن من وقت لآخر تصل للمؤلف رسالة شكره على رده
الرقيق فى فيس بوك أو توضيحه لتلك النقطة الغامضة أو تلك !
يحب المؤلف فعلاً أن يتلقى المديح ، خاصة إذا لم يكن يتعامل

مع فيس بوك على الإطلاق ولم يرسل هذه الرسائل ! نفس سعادة مارك توين بالدكتوراه الفخرية في الأدب التي نالها برغم أنه لا يعرف معنى (دكتوراه في الأدب) أصلاً .

يقول المؤلف : لا أعرف ما يكتب ولا كيف يتعامل هذا السكرتير المتطوع الذي قرر أن يتعامل باسمي ، لكنني أكرز التنويه أنني لم أكتب هذه الخطابات ، ولو أردت قول شيء لقلته من خلال منتدى روايات أو من خلال أصدقائي (أحمد الديب) (أحمد غباشي) أو مدونة (عمرو عبيد) الجميلة ، أو أرسلته من صندوق بريدي الخاص في هوميل . فليحفظنا الله من مغامرة مماثلة لمغامرة الاختراق الذي حدث منذ أعوام . اتفقن ؟ ... ربما كان هذا الأخ أكثر بلاغة مني أو أظرف أو أنكى ، لكنه ببساطة ليس أنا !

الآن ننقل لخطابكم :

الخطاب الأول شديد الرقة والظرف من الصديق أجد علي :

« ليس من السهولة بمكان الكتابة لمؤلف اعتدت قراءة مؤلفاته لسنوات طوال ، حتى ظننت أنك تعرفه حق المعرفة ولا أظنني أبالغ إذا قلت أنني أحسب أن كل فرد من قرائك يظن أنه الأكثر « فهماً » أو « تعلقاً » أو « تحمساً » لمؤلفاتك أو شخصياتها ، لكنني أستطيع أن أقول بأمانة بأنني ارتبطت بسلسلة « ما وراء الطبيعة » منذ العدد الأول وفي نفس سنة صدورها (وأشدد على نفس سنة ظهورها إذ لم يكن تزويدنا بمطبوعات المؤسسة منتظماً على الدوام) . ولا أظنني أختلف عن الكثير من القراء إذا قلت أنني كنت مهتماً بالخوارق والميتافيزيقيا وأساطير الشعوب من قبل أن تقع أولى روايات « ما وراء الطبيعة في يدى » (بالصدفة طبعاً تماماً كما وقعت أولى روايات رجل المستحيل قبلها بسنوات ... أظنها عشر !) على أي حال كانت العلامة الفارقة هي الأسلوب السردى الرفيع (راوى القصة البطل) وكم المعلومات الواقعية المصاحبة لأحداث القصة والتي تجعل بقيتنا - نحن القراء - نكتشف أننا لسنا بالثقافة التي ظنناها ، كما لا يفوتني أن أهنئك على الأسلوب الذي استطعت أن تفرض به شخصية (رفعت إسماعيل)

متمحدث رسمي بينك وبين القراء ، أنا أتفق معك في الرأي فلا أظن أن « إيان فلمنغ » كان سيستقطب عدسات المصورين لو وقف جنباً إلى جنب مع « جيمس بوند » بشحمه ولحمه ، ولكن من ناحية أخرى يمكن وضع العجوز رفعت دانما في وجه المدفع فيما إذا ساءت الأمور

ملخص ما أردت قوله هو : كتاباتك رائعة وتحديداً سلسلة « ما وراء الطبيعة » أسوأ كتاباتك لا تهبط عن المستوى الذى يرضى غرور القارئ ، وأفضلها على الإطلاق فى رأى (أسطورة حارس الكهف) ..

شكراً جزيلاً برغم أننى قرأت فى رعب مقطوع (وتحديداً سلسلة « ما وراء الطبيعة » أسوأ كتاباتك) ثم فطنت إلى أن هناك - على الأرجح - فاصلاً قبل (أسوأ كتاباتك) . كلام رقيق جداً ، وقد فهمت فعلاً موضوع الصاق التهمة برفعت إسماعيل .. رفعت يلصق التهمة بالمؤلف والمؤلف يلصقها برفعت .. هكذا تضيع المسؤولية بين الاثنين ..

خطاب آخر رقيق من الصديقة سمر الجبار :

« د. رفعت إسماعيل وعبير وعلاء .. أصدقاء أعزاء لى إلى الآن .. أجد صدقاً وتلقائية غير موجودة حولى .. أو نادرة جداً .. أعرف أصدقاء لى من دم ولحم لهم نفس صفاتهم .. مثلاً الكاتب الطنطاوى (أحمد محيى الدين خليل) يشبه رفعت إسماعيل كثيراً فى الشخصية ، ولكن ليس فى الشكل إطلاقاً . أصدقائى من الدم واللحم كانوا يخذلوننى أحياناً وبتصافى أحياناً أخرى .. لكن د. رفعت لم يخذلنى أبداً ، وتعلمت منه الكثير ، ومرت على أزمات شديدة يبسر بسبب نصائحه ، وأسلوبه المميز فى التعامل مع المشكلات .. الذى علمنى إياه . معرفته الموسوعية هى التى شجعتنى على البحث والتعمق فى القراءة .. كم من كتب دلتى عليها ، هو وحضرتك يا د. أحمد .. ولا أعرف كيف أرد لكما جميلكما . وعبير التى تمتاز بخيالها ورقة قلبها .. ولا تمتلك شيئاً سواهما ، وصدقها وسذاجتها .. عرفت أنه يمكن لإسائة بسيطة مثلها .. تقتحمها العين ، أن يكون لها وجود وتميز بين البشر حتى إن لم يعترفوا هم بهذا التميز أو يشعروا به . وعلاء العصبى المتهور حار الدماء - الغريب فى الأرض الغريبة - المصرى (الحمش) الشجاع مع رقة فى القلب ، الذى تخرج الكلمات من فيه الصادق كالسياط .. وأنا أقدر هذا فى الإنسان لأننى هكذا أيضاً ، وقد تكبدت خسائر كبيرة بسبب نساتى الصادق .. »

الصيديق حسام عزت يكتب بعد فياب :

« لسمة قافل أغنية الموت .. لو كنت أعرف أن نيللى وهى بتقول « اعملو حيطاااا » إنها بتغنى لحن كارمينا بورانا مكنتش اتفرجت على الفوازير وقتها . الحقيقة أن موضوع تيمات الرعب مفهمش فيه قوى ... بس الحقيقة لا أتذكر لرفعت اسماعيل أنه خاض بعمق الغموض المحيط بالفراغنة وبالرغم من قناعتى الشخصية أنى لو ركبت آلة الزمن ورجعتهم .. هلاقيهم ناس عاديين جداً .. وكل ما خلفوه من آثار عملاقة .. هو مجرد اجتهاد وعمل دعوب بسيط .. أما ما خلفوه على جدرانهم من نصوص مريبة وأساطير .. هى فى النهاية شىء خاضع للثقافة يفهم بشكل آخر ومنطلق آخر ..

ولكن بعيداً عن قناعتى .. فما زال الحديث عنهم مثيراً .. والحديث عن فرعون موسى أكثر إثارة .. وهل هو رمسيس الثانى أم لا .. لعنة الفراغنة .. وسر توت عنخ آمون .. والهرم الأكبر .. والغرف السرية .. والتحنيط .. ربما لم يخض رفعت إسماعيل كثيراً فى هذا وأن كنت أرى أن ما يحيط بها من غموض كفيل بإثارة فضول طبيبنا العجوز أتمنى أن تحقق لنا رواية أو اثنتين .. تملؤهم بالمعلومات المفيدة غير المغلوطة وتضعهما فى إطار أدبى فريد كما نحن معتادون منك .. »

الحقيقة أننى تعاملت مع الفراغنة فى ثلاث قصص يا (حسام) ، والقارئ بصراحة ملول جداً أكثر منى بمراحل .. مثلاً يقال إننى كتبت حتى الإملال عن مصاصى الدماء برغم أننى لم أكتب سوى خمس أو ست مرات بين سبعين كتيباً ، كما قيل إننى ألجأ للنار فى حل كل قصة مع أننى وجدت أن النسبة لا تتجاوز 10% . الخلاصة أن أحداً لن يتحمل قصة رابعة على الأرجح . لكن التيمة ثرية جداً وموحية .. وعلى الأرجح سوف أستخدمها فى رواية سميقة يوماً ما .

ما تغنيه نيللى على فكرة ليس هو كارمينا بورانا كلها لكنه جزء منها ..

أكتفى بهذا القدر وأراكم بخير فى المعرض إن شاء الله ، ولكن ليس بالبذلة الكحلية التى تجعلنى فاتناً لأنها بدأت تبلى عند الكمين .

د . رفعت إسماعيل

ما وراء الطبيعة

روايات تحبس الأنفاس
من فرط التموض والإثارة

د. محمد عز الزوفى

أسطورة الطُقَيْل

الطفيل : كائن يعيش ويتغذى
على كائن آخر ، ولا يساعده على الحياة ..
أو هو الشخص الذى يستغل كرم الآخرين
ولا يقدم لهم شيئاً بالمقابل .
فى العربية ، الطفيلى هو : الشخص الذى يدعو نفسه
لكل مأذبة ، وفى الإغريقية بارازيتوس parasitos ،
وهو : ضيف العشاء المحترف الذى لا يقدم شيئاً سوى
تسليية الأغنياء ..
قالوا قديماً : « إن القبور تعجُّ بالشجعان الذين
افتقروا إلى الحظ الحسن ، ونضيف هنا
أنها تعجُّ بمن يصدقون تعريفات
القواميس لـ ،

العدد القادم

أسطورة معرض الرعب

المؤسسة

العربية الحديثة

للدراسات والنشر والتوزيع بالقاهرة والاسكندرية

التمن فى مصر 500

وما يعادله بالدولار الأمريكى

فى سائر الدول العربية والعالم

